السِّمات الأسلوبيَّة في سورة نوح
دراسة في البِنْية والنَّظم
من خلال موسوعة التَّفسير البلاغي للقرآن الكريم

د. عبد الله عبد القادر الطَّويل
أستاذ مشارك في اللغة والبلاغة القرآنية.
جامعة رجب طيب أردوغان – كلية الإلهيات
تركيا
abdulla.altaweel@erdogan.edu.tr
https://orcid.org/0000-0001-9916-9786

©نُشر هذا البحث وفقًا لشروط الرخصة Attribution international (CC BY 4.0)، التي تسمح بنسخ البحث وتوزيعه ونقله بأي شكل من الأشكال، كما تسمح بتكييف البحث أو تحويله أو الإضافة إليه لأي غرض كان، بما في ذلك الأغراض التجارية، شريطة نسبة العمل إلى صاحبه مع بيان أي تعديلات أجريت عليه.

للاقتباس: الطَّويل، عبد الله عبد القادر، السِّمات الأسلوبيَّة في سورة نوح دراسة في البِنْية والنَّظم من خلال موسوعة التَّفسير البلاغي للقرآن الكريم، المجلد: 21، العدد: 3 (خاص)، 2026: 64-120.

تاريخ استلام البحث: 2026/05/21م تاريخ قبوله للنشر: 2026/07/22م
DOI: https://doi.org/10.61821/v21i3.0247

الملخص:

يُسلِّط هذا البحث الضَّوء على تجليات الإعجاز البياني والنَّظم الأسلوبي الـمُحكم في سورة نوح –عليه السلام–، مُتّخذًا من "موسوعة التَّفسير البلاغي للقرآن الكريم" (الصادرة عن مجمع القرآن الكريم بالشَّارقة) مرجعًا رئيسًا له. وتنطلق الدراسة من فلسفة أنَّ البلاغة القرآنيَّة ليست مجرَّد زينة لفظية، بل هي جوهر التَّعبير وروحه التي تتآلف فيها الألفاظ والتراكيب لخدمة المقاصد الدّلالية والنَّفْسيَّة للسِّياق.

وقد خلص البحث إلى تحليل ثماني سِمات أُسلوبيَّة محوريَّة في السُّورة، مُثبتًا أنَّ الظَّواهر اللغوية فيها تؤدِّي وظائف تعبيريَّة عميقة تُصوِّر الصراع العقدي والنَّفسي بين دعوة الحق وجحود المكذبين.

كما يُؤكِّد البحث على القيمة العلميَّة والفائقة لـ "موسوعة التفسير البلاغي" كخزانة ثرية وأداة منهجية أصيلة مكّنت الباحث من استجلاء هذا التَّلاحم الدَّقيق بين البنية اللُّغوية والمقصد البياني، ممَّا يفتح آفاقًا جديدة للبحوث والدراسات العليا في حقل الإعجاز القرآني.

الكلمات المفتاحية: السِّمات الأسلوبية، سورة نوح، البلاغة القرآنية، موسوعة التَّفسير البلاغي، الأسلوب القرآني، النَّظم القرآني.

Stylistic Features in Sūrat Nūḥ: A Structural and Compositional Study Based on the Encyclopedia of Rhetorical Exegesis of the Holy Qur'an

Dr. ABDULLA ABDULKADER ALTAWEEL
Associate Professor Dr. Recep Tayyip Erdoğan Üniversitesi
Department of Arabic Language and Rhetoric| Rize, Türkiye

©This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license.
Citation: ALTAWEEL, ABDULLA ABDULKADER, Stylistic Features in Sūrat Nūḥ: A Structural and Compositional Study Based on the Encyclopedia of Rhetorical Exegesis of the Holy Qur'an, Journal of the University of Holy Quran and Islamic Sciences, volume: 21, issue:3 (Special), 2026:64-120.
DOI: https://doi.org/10.61821/v21i3.0247
Received: 21/05/2026 Accepted: 22/07/2026

Abstract:

The Qur'anic naẓm (composition) is one of the greatest aspects of the miraculous nature of the Quran, as its words and structures are arranged with perfect precision and harmony. Surah Nuh is a clear example of this stylistic excellence, displaying distinctive rhetorical features such as lexical repetition, morphological variation, and the emphatic use of the absolute object.

This study is based primarily on The Encyclopaedia of Rhetorical Interpretation of the Qur'an, prepared by the Sharjah Quran Academy. It examines eight stylistic features in Surah Nuh and demonstrates their role in revealing the precision of Qur'anic expression and the integration of linguistic form and meaning.

Keywords: Stylistic Features, Surah Nuh (Chapter Noah), Quranic Rhetoric, Encyclopedia of Exegesis, Structures, Patterns, Quranic Systems (Stylistic Harmony).

المقدمة:

الحمد لله ربِّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام على سيدنا محمدٍ خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، أمَّا بعد:

فيُمثِّل النَّظم القرآني أحد أبرز وجوه الإعجاز في كتاب الله تعالى؛ إذ تتآلف فيه الألفاظ والتراكيب والأساليب في بناء مُحكَم تتكامل فيه الأصوات والصِّيغ والدلالات، بحيث تستقر كلُّ لفظةٍ في موضعها الَّذي لا يقوم غيرها مقامه، وتنتظم العناصر التَّعبيرية في نسق بالغ الدِّقَّة والإحكام والجمال. ومن ثمّ غدت البلاغة القرآنيَّة ميدانًا علميًّا واسعًا للكشف عن أسرار البيان القرآني، وإبراز ما ينطوي عليه الكتاب المعجِز من لطائف التَّعبير، ودقائق الاختيار، وروائع التَّصوير، بما يشهد بعظمة هذا الكتاب وإعجازه البياني.

وتُعَدُّ سورة نوح – عليه السَّلام – أُنموذجًا واضحًا لهذا الإعجاز الأسلوبي؛ إذ حفلت بجملة من السِّمات التَّعبيرية التي تكشف عن دِقَّة النَّظم وثراء الدّلالة، وعن التَّوافق الوثيق بين الأبنية اللُّغوية والمقاصد الدّعوية والنَّفسيَّة للسُّورة. ومن أبرز هذه السِّمات تكرار الألفاظ

ذات الدلالات المحورية، وتنوُّع المشتقَّات والصِّيغ الصَّرفية، وتوظيف المفعول المطلَق في تأكيد المعنى وتقويته، الأمر الذي يجسد التَّلاحم الدَّقيق بين البنية اللغوية والمقصد البياني.

وقد استمدَّ هذا البحث مسائله من العمل العلمي الموسوعي الرَّائد **(موسوعة التَّفسير البلاغي للقرآن الكريم)**، التي تُعَدُّ من أبرز المشروعات التَّفسيرية المُعاصرة، وأحد أهم المصادر العلميَّة المُتخصِّصة في دراسة البيان القرآني وتحليل ظواهره اللُّغوية والبلاغيَّة. وقد صدرت هذه الموسوعة بإشراف مجمع القرآن الكريم بالشَّارقة، وجمعت القضايا البيانية واللُّغوية المُتفرِّقة في القرآن الكريم، ثمَّ أعادت تنظيمها في إطار منهجي رَصين يجمع بين أصالة التُّراث، ودِقَّة التَّحليل، وحداثة العَرْض.

وتنبع القيمة العلمية لهذه الموسوعة من شمول مادَّتها، ومنهجها التَّحليلي الذي يربط الظَّواهر البلاغيَّة بسياقاتها النَّصية، ويبرز أثرها في توجيه المعنى وتعميق الدّلالة وإظهار وجوه الإعجاز البياني. كما تُعَدُّ خزانة علمية ثرية باللطائف البيانية، وميدانًا خصبًا للتنقيب والاستنباط والإبداع العلمي، بما توفره من موضوعات أصيلة تصلح للدِّراسات العُليا والبحوث المتخصِّصة.

وقد تناول هذا البحث ثماني سِماتٍ أسلوبية اختصَّت بها سورة نوح- عليه السَّلام -، وانتظمت في محاور بيانيَّة مُتعدِّدة كشفت عن دِقَّة النَّظم القرآني، وتلاحم الأبنية اللُّغوية مع المقاصد الدّلالية في السّورة، وهي على النَّحو الآتي:

السِّمة الأُولى: البُعد الدِّلالي لتكرار بعض الألفاظ

لقد تميَّزت سورة نوح بأنَّها قد أكثرت من ذِكْرِ بعض الألفاظ، ومن ذلك:

أوَّلًا: الفِعل (تَذَر).

أصل (وذر) أصلٌ يدلُّ على قَذْفِ الشَّيءِ وإلقائه لِقلَّة الاعتداد به. "والوَذْرَةُ: قطعةٌ من اللَّحم، وتَسميتها بذلك لقلَّة الاعتداد بها"[1]، والعرب قد أماتت مصدرَهُ والفعلَ الماضِيَ واسمَ الفاعِلِ مِنْهُ، فلا يُقالُ: وَذَرَهُ، ولا واذِرٌ، ولكن يقولون: تركهُ، وهُو تارِكٌ، واستعملوهُ في

(1) الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، مادة (وذر).

المضارع والأمر، فإذا أرادوا المصدر قالوا: ذَرْهُ تركًا، ويُقالُ: هو يذَرُهُ تركًا [1]، "وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿ فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ ﴾ [القلم: 44]، أي: كِلْه إليَّ، ولا تَشغَلْ قَلْبَكَ بِهِ، فإني أُجازيه"[2].

جاء التَّعبير بالفعل ﴿ لَا تَذَرُنَّ ﴾، في قوله جلَّ شأنه: ﴿ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾ [نوح: 23]. فيدلُّ على التَّرك، أي: "لا تتركوا عبادةَ آلهتكم"[3]. ويدلُّ كذلك على عدَمِ الاعتداد بالشَّيء، ومثله:﴿ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [الأعراف: 186]، أي: يترُكُهم، فلا اعتدادَ بِهِم ولا مُبالاة، وهذا الفعلُ لَمْ يُستَعمَل منه ماضٍ ولا مصدرٌ، كما ذكرنا [4].

وأمَّا استعمال النَّهي المؤَكَّدِ هنا؛ فقد جاء لحثِّ أَتْباعِهِم على التَّناهي عن تَرْكِ عبادَةِ الآلهة في حالٍ مِن الأحوالِ. كما أنَّ تكرار جملة النَّهي﴿ وَلَا تَذَرُنَّ ﴾، في الآية الكريمة فلتأكيد النَّهي، فهو تأكيدٌ لفظيٌّ بتَكرار اللَّفظِ نفسِهِ [5]، "فأكَّدوا نَهيَهُم بتكرارِهِ؛ ليزيدوا في حثِّ قومِهم على لزومِ شِرْكِهِم"[6].

وأسلوب النَّهي هنا مرادٌ به الدُّعاءُ؛ ليدلَّ على أنَّ مضمونَ الخِطابِ أمرٌ مطلوبٌ مرغوبٌ فيه، وأنَّه مِن الأهمِّيَّة بحيثُ يُطلَب مِن اللهِ جلَّ شأنه، أي: لا تَتْرُك منهُم أحدًا بأيِّ

(1) ينظر: الفراهيدي، الخليل بن أحمد، العين، مادة (وذر).

(2) الزجاج، إبراهيم بن السري، معاني القرآن: 211/5، ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، الحواشي لليازجي وجماعة من اللغويين، مادة (وذر).

(3) الشوكاني، محمد بن علي، فتح القدير، 5/ 360.

(4) ينظر: السمين الحلبي، أحمد بن يوسف، عُمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، مادة (وذر).

(5) ينظر: ابن عاشور، محمد الطَّاهر، التَّحرير والتَّنوير= تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، 29/ 209.

(6) نُخبة من علماء مجمع القرآن الكريم بالشَّارقة، موسوعة التَّفسير البلاغي في القرآن الكريم، سورة نوح، آية: 23.

وجهٍ مِنَ الوُجوه، ويُضاف إلى هذا المعنى تأكيد هذا الفعل بنون التَّوكيد [1] .

وأمَّا عِلَّة التَّعبير بالشَّرط في قوله سبحانه: ﴿ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ ﴾ [نوح: 27]؛ فهو للدَّلالة على أنَّ إضلالَهُم العبادَ مُتحقَّق على وجهِ اليقينِ عِندَ تحقُّقِ تَرْكِهِم في الدُّنيا أحياءً، فإنَّ تحقَّق بقاؤهم في الحياةِ، ولم يُستأصلوا؛ فإنَّ سَعْيَهُم في إضلالِ العِباد متحقَّق تبعًا لذلك، وهذا يدلُّ على شدَّة إصرارِهِم على الكُفر وإضلال النَّاس عن الهُدى"[2].

الجملة الشَّرطيَّة هنا تعليلٌ لسؤال نوحٍ – عليه السَّلام– أنْ لا يَتْرُكَ اللَّه– جلَّ شأنه– على الأرض أحدًا من الكافرينَ، يُريدُ أنَّه خشي أن يُضِلُّوا بعض المؤمنين وأن يلدوا أبناءً ينشؤون على كُفرِهم [3].

ثانيًا: لفظ الزِّيادة

أصلُ (زيد) في اللُّغة "أصلٌ واحدٌ يدلُّ على الفَضْلِ"[4]، يُقالُ: زادَ الماءُ والمالُ، وازْدَدْ من الخير، والزِّيادةُ: النُّمُوُّ والكَثْرَةُ، وجَمْعُها: زَوائِدُ، يُقالُ: زادَ، يَزِيدُ، زَيْدًا وزِيادَةً، وضِدُّها: النُّقْصان [5]، وتَزايَدُوا في الثَّمَن حتَّى بَلغَ مُنتهاه، والتَّزيُّد: تَكلُّفُ الزِّيادةِ في الكَلامِ وغيرِه[6]، والزِّيادة أيضًا: "ضمُّ شيءٍ إلى ما عليهِ الشَّيءُ في نفسِه"[7]، وهو المرادُ في الآيات.

وقد ورد لفظ الزِّيادة في مواضع أربعة من سورة نوح – عليه السَّلام –، وهي على النَّحو الآتي:

(1) ينظر: الناشر، محمد الهلال، تفسير القرآن الثري الجامع (في الإعجاز البياني واللغوي والعلمي)، 29/ 201.

(2) يُنظر: مَجْمَع الشَّارقة، موسوعة التَّفسير البلاغي، سورة نوح، آية: 23.

(3) ينظر: ابن عاشور، محمد الطَّاهر، التَّحرير والتَّنوير، 214/29.

(4) ابن فارس، أحمد بن زكريا، مقاييس اللغة، مادة (زيد).

(5) ينظر: ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، والزَّبيدي، محمّد مرتضى الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، مادة (زيد).

(6) الزَّبيدي، محمّد مرتضى الحسيني، تاج العروس، مادة (زيد).

(7) السَّمين الحلبي، أحمد بن يوسف، عُمدة الحفاظ، مادة (زيد).

جاء التَّعبير القرآني بفِعْلِ الزّيادة، في قوله سبحانه: ﴿ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارًا ﴾ [نوح: 6]، وهي دالَّة على ضمِّ شيءٍ إلى ما عليه الشَّيءُ في نَفْسِه، كما ذكَرنا، فإنَّهُ لما كانوا ضالِّين مُبْتَعِدين عن الهدى، فإنَّ الدَّعوة إلى الإيمانِ والهدى ضَمَّت إلى ابتعادِهم مزيدًا من البُعْدِ؛ لمقابلَتِهم الدَّعوةَ بالإصرارِ عَلى الكفر والتَّمسُّك به، ورسَّخ هذا المعنى صَوْغُ الفعْلِ مضارعًا؛ فإنَّه يُفيدُ استمرارَهُم على العنادِ والإعراضِ والفرارِ مِنَ الحقِّ [1]. وأمَّا إسناد الزِّيادة إلى الدُّعاء من باب الإسناد إلى السبب على حدِّ الإسناد في قولهم: سرَّتني رؤيتك [2]، وهذا جارٍ على سبيلِ المجاز؛ لأنَّ دُعاءَه -عليه السَّلام- إيّاهم كان سببًا في تزايد إعراضِهم، وفيه دلالةٌ على ردِّهم كلامَ نبي الله نوحٍ عليه السَّلام [3].

وأمَّا الموضع الثَّاني ففي قوله جلَّ شأنه: ﴿ لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا ﴾ [نوح: 21]؛ فقد نسَب النَّظم الجليلُ زيادةَ الخُسْران إلى الأموالِ والأولادِ، وذلك لأنَّ البَسْطَ لَهُم في النِّعمة أَعْقَبَهُم الطُّغيانَ والبَطَر، فاتَّبَعوا أهواءَهُم، وكَفَروا، وضَلّوا [4]، فضلًا عَن أنَّهم لما استَعْمَلوها في تأييدِ الكُفْر والضَّلال كانت سببًا في خُسْرانِهِم، ولو لم تَكُن لَهُم أموالٌ ولا أولادٌ؛ لكانوا أقلَّ جُرأة على الكُفْرِ والفَسادِ[5].

وأمَّا المراد بالذين لم يزدهم مالهم وولدهم إلَّا خسارًا: فهم أولئك الكُبراء والزُّعماء الَّذين رزقَهم الله جلَّ شأنه المال والولد، ولكنَّهم استعملوا نِعَمه في معصيته لا في طاعته [6].

وأمَّا الموضع الثَّالث ففي قوله جلَّ شأنه: ﴿ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا ﴾ [نوح:

(1) يُنظر: مَجْمَع الشَّارقة، موسوعة التَّفسير البلاغي، سورة نوح، آية: 6.

(2) يُنظر: الألوسي، محمود البغدادي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ضبطه وصححه: علي عبد الباري عطية، 80/15.

(3) يُنظر: ابن عاشور، محمد الطَّاهر، التَّحرير والتَّنوير: 194/29.

(4) المصدر نفسه، 20/ 447.

(5) ابن عاشور، محمد الطَّاهر، التَّحرير والتَّنوير، 29/ 207.

(6) طنطاوي، محمد سيد، التَّفسير الوسيط للقرآن الكريم، 122/15.

24]. فقد عطف النَّظم الجليلُ أسلوبَ الدُّعاءِ -وهو إنشاءٌ- على الخبَرِ قوله تعالى:﴿ وَقَدۡ أَضَلُّواْ كَثِيرٗاۖ ﴾ [نوح: 24]؛ لكونِهِ من تمام كلامِ نوحٍ عليهِ السَّلام، فقد ختَمَ شَكْواه إلى اللهِ تعالى بالدُّعاء على المشركين الذين ضلّوا عن الحقِّ بأَنْ يزيدَهُم اللهُ ضلالًا، ولا ضَيْرَ مِن عطفِ الإنشاء على الخبر، فهو غيرُ مَمْنوعٍ على وجهِ الإطلاقِ، وقَد تكرَّر كثيرًا في القرآنِ الكريمِ [1].

ويجوز أن تكون الواوُ اعتراضيَّة، وجملة: ﴿ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلٗا ﴾ معتَرِضة؛ على أنَّها مِن كلام اللهِ تعالى لنوحٍ- عليه السَّلامُ-، والتَّقدير: وقلنا: لا تزِدِ الظّالمين، والمعنى: ولا تَزِدْ في دُعائِهِم، فإنَّ ذلك لا يَزيدُهُم إلّا ضلالًا، فالزّيادة منه تزيدُهُم كُفْرًا وعِنادًا، وقد "أَعْلَمَ اللهُ تَعالى نوحًا-عليه السَّلامُ- أنَّه مُهْلِكُهُم بقوله: ﴿ أُغۡرِقُواْ فَأُدۡخِلُواْ نَارٗا ﴾ [نوح: 25]"[2]، وفي قوله:﴿ وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤۡمِنَ مِن قَوۡمِكَ إِلَّا مَن قَدۡ ءَامَنَ فَلَا تَبۡتَئِسۡ بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ٣٦ وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْۚ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ﴾ [هود: 36 – 37].

وأمَّا الموضع الرابع ففي قوله سبحانه:﴿ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارٗا ﴾ [نوح: 28].

لما كانت الزّيادةُ مِن الأموال والأولاد والأرزاق ممّا يَستَقوونَ بها، ويُلحِقون الأذى بالمؤمنين؛ كان الاستثناءُ في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارٗا ﴾ منقطعًا، وهو من تأكيدِ الشَّيء بما يُشْبِهُ ضدَّه، وهذا هو الموضع الرابع، فهو كقوله تعالى: ﴿ فَلَمۡ يَزِدۡهُمۡ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارٗا ﴾ [نوح: 6] ؛ لأنَّ التَّبار ليسَ مِن الزّيادة المدعوّ بنَفْيِها، فإنَّه أرادَ: لا تَزِدْهُم مِنَ الأموال والأولاد؛ لِما فيها مِن قُوَّةٍ لَهُم على أذى المؤمنين، وهذا كقول موسى عليه السَّلام:﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيۡتَ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةٗ وَأَمۡوَٰلٗا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن

(1) يُنظر: طنطاوي، محمد سيد، التفسير الوسيط: 29/ 210.

(2) ابن عاشور، محمد الطَّاهر، التَّحرير والتَّنوير، 29/ 211.

سَبِيلِكَ ﴾ [يونس: 88] (1).

ثالثًا: فِعْل الغُفران

أصلُ (غَفَرَ) يدلُّ على التَّغطيةِ والسَّتْرِ والإدخالُ، ومنه سُمِّيَ العَفْوُ غُفْرانًا؛ لأنَّه سَترٌ للذَّنْبِ وإدخالٌ للعَبْدِ في العَفْوِ، وقد تفرَّعت سائر الدَّلالات منه. فالغُفْرانُ: المسامَحَةُ والعَفْوُ، يُقال: غَفَرَ لَهُ: إذا سامحه وعَفا عَنْهُ. ويأتي الغُفْرانُ بِمعنى التَّجاوُزِ عن الذَّنْبِ وعَدَمِ المؤاخَذَةِ به، يُقالُ: غَفَرَ اللَّهُ ذَنْبَهُ غَفْرًا ومَغْفِرَةً وَغُفرانًا، أي: سَتَرَها وتَجاوَزَ عنْها (2). "والغُفْرانُ والمِغْفِرَةُ من الله هو أن يصون العبد من أن يمسَّه العذاب"(3). والاسْتِغْفارُ: طَلَبُ المِغْفِرَةِ.

نلحظ هنا أنَّ أصل (غفر) قد نُقِل من السَّتر الحسي إلى السَّتر المعنوي، فصار الغفران بمعنى المسامحة والعفو؛ لأنَّ الذَّنب يُستَر فلا يظهر أثره. ثمَّ اتَّسع ليشمل التَّجاوز وعدم المؤاخذة، حتى غدا من الله – جلَّ شأنه – صيانةً للعبد من العذاب، وأمَّا الاستغفار فهو طلب هذا السَّتر؛ فالدَّلالة الجامعة هي: السَّتر الذي يفضي إلى إسقاط أثر الذَّنب وعدم المؤاخذة به.

وقد أُستعمل فِعل غفر في سورة نوح – عليه السَّلام – مرات أربع، وهي على النَّحو الآتي:

جاء التَّعبير القرآنِيُّ بالفعل ﴿ يَغْفِرْ ﴾ مجزومًا، في قوله جلَّ شأنه: ﴿ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّىٰٓ ﴾ [نوح: 4]؛ لأنَّه وقع جوابًا عن فِعْلِ الأمر﴿ أَنِ ٱعْبُدُواْ﴾ – وما عُطِفَ عليهِ من أفعالٍ تبَعٌ– في قوله جلَّ شأنه: ﴿ أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴾ [نوح: 3] ، فجُزِم؛ لأنَّه وقع في جوابِ طلَبٍ، والتَّقدير: "إنْ تفعلوا ذلك؛ يغفرِ

(1) يُنظر: ابن عاشور، محمد الطَّاهر، التَّحرير والتَّنوير، 29/ 215.

(2) يُنظر: ابن فارس، أحمد بن زكريا، مقاييس اللغة، مادة (غفر).

(3) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، مادة (غفر).

اللهُ لكم"[1]، "وعبَّر بالمغفرة لدلالتها على السَّتر والتَّغطية وعدم المؤاخذة[2]، أي: إنَّه يستر عنهم الذُّنوب، ويزيلها، ولا يعاقبهم عليها، وجاء التَّعبير بالمضارع؛ للدَّلالة على تجدُّد الغفران ودوامه بتجدُّد ذنوبهم"[3].

و(مِنْ) للتَّبعيض أي: يغفر لكم بعض ذنوبكم، وهي تلك التي اقترفوها قبل إيمانهم وطاعتهم لنبيهم، أو الذنوب التي تتعلق بحقوق الله- تعالى- دون حقوق العباد.

"ويرى بعضهم أنَّ (مِنْ) هنا زائدة لتوكيد هذه المغفرة. أي: يغفر لكم جميع ذنوبكم التي فرطت منكم، متى آمنتم واتقيتم ربَّكم، وأطعتم نبيَّكم"[4].

وأمَّا الموضع الثَّاني فقد آثر البيانُ القرآنيُّ التَّعبيرَ بالفِعْلِ المضارِع، في قوله جلَّ شأنُه: ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ﴾ [نوح: 7]؛ للدَّلالة على تجدُّد المغفرة ودوامِها؛ لأنَّ الإنسانَ مِن طبيعتِهِ ارتكابُ الخطايا، ومغفرةُ اللهِ سُبحانَهُ مستمرَّةٌ لعِبادِهِ المؤمنين حالَ استِغفارِهِم، فهو فِعْلٌ متجدِّدٌ.

وأمّا نكتة التَّعبير بشبه الجملة في قوله تعالى:﴿لِتَغْفِرَ لَهُمْ﴾ فيدلُّ على أنَّ المغفرة إنَّما هي لأجلهم هم، لما في إيمانهم وطاعتهم من سببٍ لها، فهم المنتفعون بها. وفي ذلك إشارة إلى قُبح إعراضهم عن الدعوة [5]، بل فيه تعريض بضعف عقولهم؛ إذ يتركون ما فيه نفعهم، وكان الأجدر بهم أن يقبلوا عليها ويتدبّروها [6].

وقد عُبِّرَ بفعل الأمر في قوله جلَّ شأنه:﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ﴾ [نوح: 10]؛ للحثِّ والدَّعوة والنُّصح والإرشاد، وجاء التَّعبير بصيغة الاستِفعالِ لإفادَةِ مَعْنى الطَّلب، أي:

(1) ابن عاشور، محمد الطَّاهر، التَّحرير والتَّنوير، 29/ 189.
(2) السَّمين الحلبي، أحمد بن يوسف، عُمدة الحفاظ، مادة (غفر).
(3) مَجْمَع الشَّارقة، موسوعة التَّفسير البلاغي، سورة نوح، آية: 4.
(4) طنطاوي، محمد سيد، محمد سيد، التَّفسير الوسيط، 112/15.
(5) ينظر: طنطاوي، محمد سيد، التَّفسير الوسيط، 112/15.
(6) ينظر: ابن عاشور، محمد الطَّاهر، التَّحرير والتَّنوير، 29/ 196.

اطلُبوا، وسَلوا اللهَ تعالى أن يَغْفِرَ لَكُم ذُنوبَكُم.

"ويفيد التَّعبير بصيغة المبالغة في ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴾ [نوح: 10]، كمال الغُفران وكثرته وتجدّده، وأنَّ الله –جلَّ شأنه– يغفر الذُّنوب مرارًا على وجه الدَّوام"(1).

وجاءت الجملة مُؤَكَّدَة بـإنَّ في قوله جلَّ شأنه: ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴾ لتعليل الدّعوة إلى الاستغفار، وتثبيت سعة المغفرة ردًّا على توهّم عدم القبول لكثرة الذّنوب (2).

كما دلَّ التَّعبير بـ (كان) على ثبوت هذه الصِّفة لله – تعالى – أزلًا واستمرارها، مع تجدُّد آثارها لمن تاب.

وقد عبَّر النَّظمُ القرآني الجليل بالمغْفِرَة، في قوله جلَّ شأنه:﴿ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾ [نوح: 28]؛ للدَّلالة على طلَبِ السَّتْر والعَفْوِ عمّا يُستغفَر منه، فإنَّه لما دعا على الكفّارِ طلَبَ المغفرةَ؛ لأنَّه قدَّر أنَّ ما صدَرَ مِنْهُ كان تركًا للأفضل، وهو دوامُ الصَّبر عليهم، والدَّعوة لهم بالهداية (3).

السِّمةُ الثَّانية: وَفرَةُ المُشتقَّات اللُّغويَّة وتنوُّعُها

تتجلَّى في سورة نوح– عليه السَّلام – ملامح ثراءٍ لغويٍّ لافت، يظهر في تنوّع المشتقّات وتكاثرها، وتكرار بعض الصِّيَغ والأوزان على نحوٍ مقصود يخدم البناء الدَّلالي للنَّص. وهذا التنويع ليس مجرد ظاهرة شكلية، بل يحمل دلالات بيانية تؤكّد المعاني وتُعمِّق أثرها في السياق. ومن أبرز مظاهر ذلك كثرة المفعول المطلق، إلى جانب حضور صيغٍ صرفيَّة مُتعدِّدة، على النَّحو الآتي:

أوَّلًا: المفعول المُطلَق

يبرز المفعول المطلَق في السُّورة أداةً بيانيةً لتوكيد المعنى وتقويته، وإبراز دلالته على نحوٍ

(1) مَجْمَع الشَّارقة، موسوعة التَّفسير البلاغي، سورة نوح، آية: 10

(2) يُنظر: البقاعي، برهان الدين، نظم الدُّرَر، 20/ 437.

(3) يُنظر: الخازن، أبو الحسن الشيحي، لباب التأويل في معاني التنزيل، 4/ 347.

أوضح وأبلغ، وتمثَّل ذلك في مجموعة من الآيات الكريمات، منها:

1- ﴿ ٱسۡتِكۡبَارٗا ﴾ ، في قوله جلَّ شأنه:﴿ وَٱسۡتَغۡشَوۡاْ ثِيَابَهُمۡ وَأَصَرُّواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ ٱسۡتِكۡبَارٗا ﴾ [نوح: 7].

أصـــلُ (كبر) يدلُّ على الامْتِناعِ وعَدَمِ الانْقِيادِ، يُقالُ: تَكَبَّرَ البَعِيرُ: إذا امْتَنَعَ ولم يَنْقَدْ[1]. والاستكبارُ: طلبُ التّكبُرِ لغيرِ استحقاقٍ، والكِبْرُ والتَّكَبُّرُ والِاسْتِكْبارُ تتقارَبُ في المعنى، فالكِبْرُ: العَظَمَةُ، وهي إعجابُ الإنسانِ بنَفْسِه، وذلك أن يَرى نفسَه أكبرَ من غَيْرِه، والتّكبُّرُ يوصَـــفُ به مَن يتَشَـــبّعُ بما لَيس لَه، ولا يَملِكُ مُؤهّلاتِه، ويتَكَلّفُ ذلك، وهذا في أوصافِ النّاسِ كقولِه تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلۡبِ مُتَكَبِّرٖ جَبَّارٖ ﴾ [غافر: 35]، وأعظمُ التّكبّرِ التّكبّرُ على الله بالامتناعِ منْ قَبولِ الحَقّ، والإذعانِ له بالعِبادَةِ. والاسْتِكْبارُ أن يتحَرّى الإنسانُ، ويطلبَ أن يصيرَ كَبيرًا، ويتَشَبّعَ مِن ذلكَ فيُظهرَ مِن نفسِه ما لَيس لَه، وجميعُ ما وَرَدَ في القرآنِ العظيمِ منَ الاستكبارِ من هذا النّوعِ، كما قالَ تعالى:﴿ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ ﴾ [البقرة: 34] [2].

كما هو ملاحظ في شرح المفردة فإنَّ أصلَ كبر يرجع إلى معنى الامتناع وعدم الانقياد، ومنه تفرَّعت سائرُ الدَّلالات؛ إذ نُقِل من الامتناع السُّلوكي إلى المعنى النَّفسي، فصار الكِبْرُ دالًّا على العظمة الباطنة وإعجاب الإنسان بنفسه ورؤيته لها فوق غيره، ثم انتقل إلى مظهره الخارجي فكان التَّكَبُّرُ تكلّفَ هذه العظمة وإظهارَها بغير اســـتحقاق، ثم اتّســـع ليبلغ غاية الشدّة في الاستكبار، وهو طلب الكِبْر والسعي إليه مع الإصرار على الامتناع من قبول الحقّ؛ فالدلالة الجامعة هي: الامتناع المتولّد عن شعور بالعظمة، المفضي إلى ردِّ الحقِّ وعدم الانقياد له.

(1) يُنظر: الشوكاني، محمد بن علي، فتح القدير، 274/5.

(2) يُنظر: ابن فارس، أحمد بن زكريا، مقاييس اللغة، والراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، والسَّمين الحلبي، أحمد بن يوسف، عُمدة الحُفّاظ، مادة (كبر).

لقد عبَّر البيانُ القرآنيُّ بالاستكبارِ، في قوله جلَّ شأنه:﴿ وَٱسۡتَغۡشَوۡاْ ثِيَابَهُمۡ وَأَصَرُّواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ ٱسۡتِكۡبَارٗا ﴾ [نوح: 7]؛ للدَّلالة على المبالغَةِ في تَعاليهم وتمنُّعِهم عمّا يَجِبُ عليهم فِعْلُه، والتَّعظُّم في ذلك، أي: إنَّهم أَظْهروا تكبُّرهم وتعظُّمهم عن الطّاعة والاتِّباع، وأخَذَتْهُم العزَّةُ بالكفر والشِّرك، وجاء التَّعبير بصيغَةِ الاستِفعالِ؛ للدَّلالة على الطَّلب قصدًا لإرادَةِ المبالغَةِ، أي: إنَّهم قد أوجدوا الكِبْر مع طَلَبِهم لَهُ ورغبَتِهم فيه [1] .

وأمَّا دلالةُ توكيدِ الاستِكبارِ بالمفعولِ المطْلَقِ فالمراد به بيان فَرْطِ استكبارِهم وشِدَّتِه، والمبالغة فيه[2] إلى حدِّ تَمَكُّنه فيهِم، وأفادَ التَّأكيدُ التَّنبيهَ على أنَّ فِعْلَهُم ذلك كان ينبغي ألّا يُفْعَل؛ لمنابَذَتِه الحكمةَ ومُخالَفَتِه العقلَ، وأنَّه لا يكاد يُصدَّقُ أن يُقْدِمَ عليهِ أحَدٌ .

وأمَّا التَّعبير عن الاستكبار بصيغة التَّنكير، في قوله جلَّ شأنُه: ﴿ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ ٱسۡتِكۡبَارٗا﴾ فلتعظيمِ الاستكبارِ، أي: إنَّهم استَكبَروا استكبارًا شديدًا لا تَنفَعُ معَهُ دعوَةٌ.، وتَنوينُ ﴿ ٱسۡتِكۡبَارٗا ﴾ للتَّعظيمِ، أي: استِكبارًا شَديدًا، لا يَقُلُّه حدُّ الدَّعوةِ [3].

2- ﴿إِسۡرَارٗا ﴾، في قوله سبحانه: ﴿ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعۡلَنتُ لَهُمۡ وَأَسۡرَرۡتُ لَهُمۡ إِسۡرَارٗا ﴾ [نوح: 9].

أصلُ (سرّ) أصلٌ يدلُّ على إخفاءِ الشَّيء، وما كانَ مِنْ خالصِهِ ومُستقرّهِ، لا يَخرُجُ شيءٌ منه عَنْ هذا، فالسِّرُّ: ما يُكْتَمُ في النَّفْسِ، يُقالُ: أَسَرَّ الشَّيءَ، أي: أخفاهُ وكَتَمَهُ، وضِدُّهُ: الإعلان، ويُستعمَلُ في الأعيانِ والمعاني، يُقالُ: أَسْرَرْتُ إليه كلامًا، أي: أخبرتُه به خُفيَةً، وسِرُّ كُلِّ شيءٍ: جَوْفُهُ وداخِلُهُ، والجمعُ: أسرارٌ وسرائرُ [4]، والإسرار في الآية معناه:

(1) يُنظر: الشربيني، محمد بن أحمد، السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، 4/ 392.

(2) يُنظر: النسفي، عبد الله بن أحمد، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، 3/ 542.

(3) يُنظر: ابن عاشور، محمد الطَّاهر، التَّحرير والتَّنوير، 29/ 196، ومَجْمَع الشَّارقة، موسوعة التَّفسير البلاغي، سورة نوح، آية: 7.

(4) يُنظر: ابن فارس، أحمد بن زكريا، مقاييس اللغة، مادة (سر).

إخفاءُ الكلامِ عنْ أن يَسمَعَه سامعٌ.

ونلحظ هنا أنَّ الدلالة نُقِلت من الخفاء الحسيّ الكامن في باطن الشَّيء إلى الخفاء المعنويّ، فصار السِّرُّ ما يُكتم في النَّفْس ويُخفى عن الغَيْر، ثمَّ أُطلق على داخل الشَّيء وجوفه لأنَّه موضع الخفاء ومُستقرّه، واتّسع ليشمل الإسرار في القول وهو إخفاؤه عن السامعين؛ فالدلالة الجامعة هي: الخفاء المستقرّ في الباطن، المفضي إلى الكتمان وعدم الظهور.

لقد أكَّد الإسرار بالمِفْعولِ المطلق دونَ الإعلانِ في قوله سُبحانَهُ:﴿ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعۡلَنتُ لَهُمۡ وَأَسۡرَرۡتُ لَهُمۡ إِسۡرَارٗا ﴾ [نوح: 9]؛ وذلك لأنَّ الإسرارَ في الدَّعوة يتطلَّب تحيُّنَ الأوقاتِ المناسِبَةِ الَّتي يكون فيها المدعوُّ خاليًا من المشاغِل، وهذا ممّا يَعْسُر، ولكونِهِ يقَعُ في الخَفاءِ، فقَدْ يُستبعَد وقوعُه، أو يُظَنُّ قِلَّتُه، فاقْتَضى التَّأكيد، كما أنَّ تأكيدَهُ يدُلُّ على تأكيدِ ما قَبْلَهُ مِن الأفعالِ على وَجْهِ الإيجازِ [(1)] .

وانتصَبَ إسرارًا على أنَّه مفعولٌ مُطلَق مُفيدٌ للتَّوكيدِ، أي إسرارًا خفيًّا. ووَجهُ توكيد الإسرار هنا أنَّ إسرارَ الدَّعوَةِ كان في حال دعوتِه سادتَهُم وقادتَهُم لأنَّهم يمتعضون مِنْ إعلان دعوتِهم بمَسْمَعٍ مِن أتباعِهم [(2)].

و"أمَّا عِلَّة تقديم لفظ الإعلان على الإسرار، في قوله تَعالى:﴿ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعۡلَنتُ لَهُمۡ وَأَسۡرَرۡتُ لَهُمۡ إِسۡرَارٗا ﴾ [نوح: 9]؛ فلأنَّ الإعلانَ أشدُّ مِنَ الإسرار، فأخبَرَ أنَّه ابتدأ بأشدِّ السَّبيلينِ؛ لبَيانِ اجتِهادِهِ وانتفاءِ تَقْصيرِه، وإقامة الحجَّة على قومِه"[(3)].

3- ﴿نَبَاتٗا ﴾، في قوله جلَّ شأنه:﴿ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ﴾ [نوح: 17].

أصلُ (نبت) "يَدُلُّ عَلى نَماءٍ في مَرْوعٍ، ثُمَّ يُسْتَعَارُ، فالنَّبْتُ مَعرُوفٌ، يُقالُ: نَبَتَ، وَأَنْبَتَتِ الأَرْضُ"[(4)]، فـ "النَّبْتُ والنَّبَاتُ: ما يخرج من الأرض من النَّامِيات، سواءٌ أكان له

(1) ينظر: البقاعي، بُرهان الدِّين، نظم الدُّرَر، 8/ 168.

(2) ينظر: ابن عاشور، محمد الطَّاهر، التَّحرير والتَّنوير، 197/29

(3) مجْمَع الشَّارقة، موسوعة التَّفسير البلاغي، سورة نوح، آية: 9.

(4) ابن فارس، أحمد بن زكريا، مقاييس اللغة، مادة (نبت).

ساقٌ كالشَّجر، أم لم يكن له ساق كالنَّجْم"[1]، والنَّابتُ مِنْ كُلِّ شيءٍ: الطَّريُّ حِينَ يَنْبُتُ صَغِيرًا، وَمَا أَحْسَنَ نابتةَ بَنِي فُلَانٍ، أَي: مَا يَنْبُتُ عليهِ أَموالُهم وأَولادُهم، والنَّوابتُ مِنَ الأَحداثِ: الأَغْمارُ[2]، والمفعول المطلق نباتًا هنا مراد به: النَّشأة والتَّكوين، أي: إنَّ "الإنسان هو من وجه نبات من حيث إنَّ بدأه، ونشأه من التُّراب، وإنَّه ينمو نُمُوَّه، وإن كان له وصف زائد على النَّبات"[3].

نلحظ أنَّ دلالة الأصل قد انتقلت من النَّماء الحسيِّ في النَّبات الخارج من الأرض إلى مُطلَق النّشوء والحدوث، فصار النَّبتُ والنَّباتُ اسمًا لكلِّ ما ينمو ويظهر، ثمَّ أُطلق على الطَّريِّ الصَّغير في أوَّل نشأته، واتَّسع ليشمل النَّابت من النَّاس والنَّوابت من الأحداث، ثمَّ استُعمل في النَّشأة والتَّكوين؛ فالدَّلالة الجامعة هي: النَّماء المتدرّج الظَّاهر بعد خفاء، المفضي إلى التَّكوُّن والازدياد.

"جاء التَّعبير القرآني بالمفعول المطلق، في قوله جلَّ شأنه:﴿ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ﴾ [نوح: 17]؛ للدَّلالة على التَّأكيد، وذلك لأنَّهم منكِرونَ للبَعْث، وإنكارُ البعث كأنَّه إنكارٌ لابتداءِ الخَلْقِ، فالتَّعبير بالمفعول المطلق هنا أكَّد الحدوثَ الذي يدلُّ على حتميَّة الرُّجوعِ، كما أنَّ التَّأكيدَ يدُلُّ على تقوية مضمون الخبر، فأكَّد كونَهُم خُلِقوا من الأرض؛ لبيان كونهم مخلوقينَ، وأنَّ خالِقَهُم اللهَ تعالى قد منَّ عليهِم بِلُطْفِه ورَحْمَتِه"[4].

وقد استعار النَّظمُ الجليلُ هنا لفظَ الإنبات للإنشاءِ والإيجادِ، في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ﴾، وهي استعارةٌ تصريحيَّة تبَعِيَّة، فشبَّه النّاسَ بالنَّبات، واستعار الإنباتَ للإنشاءِ، فاشتَقَّ مِنَ الفِعْلِ أنبَتَ مَعْنى أنشأَ على طريقةِ الاستعارةِ التَّصريحيَّة

(1) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، مادة (نبت).

(2) ينظر: الأزهري، محمد بن أحمد، تهذيب اللغة، وابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، مادة (نبت).

(3) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، مادة (نبت).

(4) مَجْمَع الشَّارقة، موسوعة التَّفسير البلاغي، سورة نوح، آية: 17.

التَّبعيَّة، وفائدة هذه الاستعارةِ الدَّلالةُ على الحدوثِ، فإنَّهم إذا كانوا نباتًا؛ كانوا مُحْدَثين لا محالةَ حُدوثَ النَّباتِ [1] .

كما جُمِعَ بين أنبت و﴿نَبَاتًا ﴾، في الآية الكريمة على طريقة الجِناس الاشتقاقيّ، وفائدةُ ذلك التَّنبيهُ على أصل الخَلْق الأوَّل، وتأكيدُ دليلِ الحدوث، فهذا الجناسُ يُذكِّر السَّامعَ بارْتِباط الإنسان بالأرضِ، وأصلِهِ الذي نشأَ مِنهُ، ويؤكِّد قدرةَ الله سبحانه وتعالى على الخَلْقِ من الشَّيء المهين مخلوقًا عاقلًا خصيمًا [2].

وقد آثر النَّظم الكريم التَّعبيرَ بالنَّبات، في قوله جلَّ شأنه: ﴿ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتًا ﴾ دون الإنباتِ، فلم يَرِد في البيان القرآنيّ: أنبتكم إنباتًا، مع كونِ الإنباتِ أوفقَ للفعل أنبت، إلَّا أنَّهُ أوثِرَ تأكيدُ الفعلِ باسْمِ المِصْدَرِ، مُجرَّدًا من زيادةِ الهمزة؛ للإشارةِ إلى هوان ابتداءِ خَلْقِهم عليه سبحانه وتعالى وسُهولته، فضلًا عمَّا فيه مِن عدولٍ مِنَ الثِّقل إلى الخفَّة توخِّيًا لكمال الفصاحَة[3]، ثُمَّ إنَّ فيه لطيفةً دقيقة، وهي أنَّه "لو قال: أنبتكم إنباتًا؛ كان المعنى: أنبتكم إنباتًا عجيبًا غريبًا، ولما قال: أنبتكم نباتًا؛ كان المعنى أنبَتَكُم، فنبتُّم نباتًا عجيبًا، وهذا الثَّاني أولى؛ لأنَّ الإنباتَ صفَةُ الله تعالى، وصفة الله تعالى غير محسوسة لنا، فلا يعرف: أنَّ ذلك الإنباتَ إنباتٌ عجيب كاملٌ إلَّا بواسطة إخبارِ الله تعالى، وهذا المقامُ مقامُ الاستدلالِ على كمال قدرة الله تعالى، فكان موافقًا لهذا المقام، فظهَرَ بهذا: أنَّ العدولَ عن تلك الحقيقةِ إلى هذا المجازِ؛ كان لهذا السِّرِّ اللَّطيف"[4] .

(1) يُنظر: الهرري، محمد الأمين، حدائق الروح والريحان، 30/ 279؛ وينظر: الأندلسي، أبو حيان محمد بن يوسف، البحر المحيط، 10/ 284، والبقاعي، بُرهان الدِّين، نظم الدُّرَر، 20/ 442، وابن عاشور، محمد الطَّاهر، التَّحرير والتَّنوير، 29/ 204.

(2) ينظر: مَجْمَع الشَّارقة، موسوعة التَّفسير البلاغي، سورة نوح، آية: 17.

(3) ينظر: ابن عاشور، محمد الطَّاهر، التَّحرير والتَّنوير، 29/ 204.

(4) الدرة، محمد علي طه، تفسير القرآن الكريم وإعرابه، 192/10، ومَجْمَع الشَّارقة، موسوعة التَّفسير البلاغي، سورة نوح، آية: 17.

كما أنَّ التَّعبير بالنَّباتِ دون الإنباتِ يجعل الجملة، في قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ﴾، مِن قبيلِ الإيجازِ، والمعنى: الله أنبتكم إنباتًا، فنبتُّم نباتًا، وهذا الإيجازُ احتباكٌ، وهو المسمّى: الحذفَ المقابَلِيَّ أو حذفَ التَّقابُلِ[1]، ووجهُ ذلك: أنَّ "ذِكرَ أنبت أوَّلًا دالٌّ على حَذْفِ مصدرِهِ ثانيًا، وذِكْرَ النَّبات ثانيًا دالٌّ على حذفِ فِعْلِه أوَّلًا" [2].

4- ﴿ إِخۡرَاجٗا ﴾ ، في قوله جلَّ شأنه:﴿ وَيُخۡرِجُكُمۡ إِخۡرَاجٗا ﴾ [نوح: 18].

أصلُ (خَرَجَ) النَّفاذُ عن الشَّيْءِ. يُقالُ: خَرَجَ يَخْرُجُ خُروجًا [3]. ومنه الخُرُوجُ: اسمٌ من أَسماءِ يومِ القِيامةِ، "قال تعالى:﴿ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡخُرُوجِ ﴾ [ق: 42]، أَي: يَوْم يُبْعَثُونَ فَيَخْرُجُون من الأَرْض"[4]. والخُروجُ أيضًا: البُروزُ والظُّهورُ، ومنه سُمِّي الخوارِجِ بذلك؛ لِخُروجِهِم على النّاسِ[5]. والإخراجُ: فَصْلُ شيءٍ مَحْوِيٍّ عَنْ حاوِيهِ. والمراد به هنا: بُروزُ أجسادهم من الأرضِ.

نلحظ في شرح المفردة أنَّ الأصل يعود إلى معنى النَّفاذ والخروج من الشَّيء، ومنه تفرَّعت سائرُ الدَّلالات؛ إذ نُقِل من الخروج الحسيّ من المكان إلى مُطلَق البُروز والظُّهور، فصار الخروجُ يدلُّ على الانفصال عن الدَّاخل والانكشاف بعد الاستتار، ثمَّ استُعمل في البعث والخروج من الأرض يوم القيامة، واتَّسع ليشمل الإخراج وهو فَصْل الشَّيء عن حاوِيه وإبرازه؛ فالدَّلالة الجامعة هي: الانفصال عن الدَّاخل مع البروز والظُّهور إلى الخارج.

(1) هو أَن يجتمِع في الكلام مُتقابلان، فيُحذف من واحدٍ منهما مُقابلةً لدلالةِ الآخَر عليه.

(2) البقاعي، بُرهان الدِّين، نظم الدُّرَر، 20/ 444.

(3) يُنظر: أبو منصور، أحمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، تهذيب اللغة، وابن فارس، أحمد بن زكريا، مقاييس اللغة، مادة (خرج).

(4) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب؛ والزَّبيدي، محمّد مرتضى الحسيني، تاج العروس، مادة (خرج).

(5) ينظر: الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، وابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، مادة (خرج).

عبَّر النَّظم الجليلُ بالمفعول المطلق، في قوله جلَّ شأنه:﴿ وَيُخۡرِجَكُمۡ إِخۡرَاجٗا ﴾ [نوح:18]؛ للدَّلالة على تأكيد الإخراجِ والبَعْثِ مِنَ القبور وشدَّة العنايةِ به، فهو إخراجٌ محقَّق واقعٌ لا محالة، وفائدة التَّأكيد هنا تتأتّى من كونِ المشْركين مُنْكِرين للبعث، فكان مقتضى الحالِ يوجِبُ تأكيدَهُ للرَّدِّ على إنكارِهم(1)، وعلَّة تنكيرِهِ بيانُ غرابةِ هذا الإخراج، أي: "ليس هو كما تَعْلَمونَ، بَل تكونون به في غاية ما يكون مِنَ الحياة الباقيةِ، تلابِس أرواحُكم بها أجسامَكُم ملابسةً لا انفكاكَ بعدَها لأحدِهِما عنِ الآخَر"(2) .

والتَّعبيرُ بالإخراج في قوله جلَّ شأنه: ﴿ وَيُخۡرِجَكُمۡ إِخۡرَاجٗا ﴾ جاء للدَّلالة على البَعْثِ بعدَ الموت، أي: يُخْرِجُكم بِبَعْثِكُم مِنَ القبور، فذُكِر البعثُ بعد الموتِ والإعادةِ إلى الأرض؛ لدَمْجِ الإنذار بالبعث مع الاستدلالِ على الألوهيَّة وكمالِ الرُّبوبيَّة (3).

5- ﴿ مَكۡرٗا ﴾ في قوله جلَّ شأنه:﴿ وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا كُبَّارٗا ﴾ [نوح: 22].

أصلُ (مَكَرَ) "يدلُّ على الاحتيالِ والخِداعِ"(4). "وقد مكَرَ به يمكُرُ، فهو ماكِرٌ ومكَّارٌ، ومَكَر به: كادَه"(5). قال الشَّريف الجُرجاني: المكرُ: هو "إيصالُ المكْروهِ إلى الإنسانِ مِن حيثُ لا يَشعُرُ"(6). وأمَّا السُّيوطي فقال: ما يَقصِدُ فاعِلُه في باطِنِه خِلافَ ما يقتضيه

(1) ينظر: الخطيب الشربيني، محمد بن أحمد، السراج المنير، 4/ 392.

(2) البقاعي، بُرهان الدِّين، نظم الدُّرَر، 20/ 444.

(3) ينظر: ابن عاشور، محمد الطَّاهر، التَّحرير والتَّنوير، 29/ 205، ومَجْمَع الشَّارقة، موسوعة التَّفسير البلاغي، سورة نوح، آية: 18.

(4) ابن فارس، أحمد بن زكريا، مقاييس اللغة، (مكر).

(5) الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصّحاح تاج اللغة وصحاح العربية، والزَّبيدي، محمّد مرتضى الحسيني، تاج العروس، مادة (مكر).

(6) الشريف الجرجاني، علي بن محمد، التعريفات، ص: 227.

ظاهِرُه [1]. وهو على ضـــربين: مَكْرٌ محمودٌ، وذلك أن يتحرَّى بذلك فِعل جميل، وعلى ذلك قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ﴾ [آل عمران: 54]. ومذمومٌ، وهو أن يتحرَّى به فِعل قبيح، قال تعالى: ﴿ وَلَا يَحِيقُ ٱلۡمَكۡرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهۡلِهِۦۚ ﴾ [فاطر: 43]. وقال بعضُـــهم: مِنْ مَكْرِ الله إمهالُ العَبد وتمكينه من أعراض الدُّنيا؛ ولذلك قال أمير المؤمنين علي رضـي الله عنه: مَن وسّـع عليه دنياه ولم يعلم أنّه مُكِرَ به فهو مخدوعٌ عن عقله [2]. والمقصـود بالمكر في الآية: صَرفُ الغَيْرِ عمَّا يقصِدُه بحيلةٍ.

من الملاحظ أنَّ أصـل هذه المادَّة يدلُّ على معنى التَّوصُّـل إلى الإضـرار بالغير بطريقٍ خفيٍّ، ثمَّ خُصَّ بإيصـــال المكروه إلى الإنســـان من حيث لا يشـــعر، أو بإظهار خلاف ما يُبطن.

وهو نوعان: محمودٌ إذا كان لتحقيق غايةٍ حسنة أو دفعِ شرٍّ، ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ﴾ [آل عمران: 54]؛ ومذمومٌ إذا كان للإضـــرار بالغير ظلمًا، كما في قوله: ﴿ وَلَا يَحِيقُ ٱلۡمَكۡرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهۡلِهِۦۚ ﴾ [فاطر: 43]. وخلاصته: صرفُ الغير عمَّا يقصده بحيلةٍ خفيَّة، يختلف حُكمها باختلاف المقصد.

عبَّر النَّظم الجليلُ بالمفعولِ المطلق، في قوله جلَّ شـــأنه:﴿ وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا﴾ لتأكيدِ مَكْرِهم، وللدَّلالة على قُوَّتِه، فهو مَكْرٌ بليغٌ شديدٌ [3].

أمَّا عِلَّة التَّعبيرِ بالمكْرِ في الآية فلدلالَتِه على صَـــرْفِ المرْءِ عمّا يَقْصِـــدُه بحيلَةٍ، فلمَّا

(1) الراغب الأصـفهاني، الحسـين بن محمد، الذريعة إلى مكارم الشـريعة، ص: 254، ويُنظر: السـيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، ص: 207.

(2) يُنظر: الراغب الأصـــفهاني، المفردات في غريب القرآن، والسَّـــمين الحلبي، أحمد بن يوســـف، عُمدة الحُفَّاظ، مادة (مكر).

(3) يُنظر: البقاعي، بُرهان الدِّين، نظم الدُّرَر، 20/ 448.

احتالوا لصَرْفِ النّاسِ عَن نوحٍ وتَحْريشِهِم على أذاهُ وصَدِّهم عن المَيْلِ إليهِ؛ سَمَّى ذلك مكرًا[1]، وقد أحسن الفخرُ الرّازيُّ؛ إذْ قال: "إنَّما سمَّاهُ مكرًا لوجهين: الأوَّل: لِما في إضافَةِ الإلهيَّة إليهِم مِنَ الحيلَةِ الموجِبَةِ لاستِمرارهم على عبادتها، كأنَّهم قالوا: هذه الأصنامُ آلهَةٌ لكُم، وكانت آلهةً لآبائكم، فلو قَبِلْتُم قولَ نوحٍ؛ لاعترفْتُم على أنفُسِكُم بأنَّكم كنتُم جاهِلين ضالّين كافرين، وعلى آبائكُم بأنَّهم كانوا كذلكَ، ولما كان اعترافُ الإنسانِ على نفسِه وعلى جميع أسلافهِ بالقُصور والنَّقصِ والجَهْلِ شاقًّا شديدًا؛ صارتِ الإشارةُ إلى هذه المعاني بلفظ ﴿ ءَالِهَتَكُمْ ﴾ [نوح: 23] صارفًا لهم عن الدّين، فلأجل اشتمالِ هذا الكلام على هذه الحيلةِ الخفيَّة؛ سمّى اللهُ كلامَهُم مكرًا. الثّاني: أنَّه تعالى حكى عن أولئكَ المتْبوعينَ أنَّهم كان لهم مالٌ وولَدٌ، فلعلَّهُم قالوا لأتباعِهِم: إنَّ آلهَتَكُم خيرٌ مِن إلَهِ نوحٍ؛ لأنَّ آلهَتَكُم يُعْطونَكُم المالَ والولد، وإله نوحٍ لا يعطيهِ شيئًا؛ لأنَّه فقير، فبهذا المكْرِ صَرَفوهُم عن طاعةِ نوحٍ"[2] .

و"قد جُمِعَ بينَ لَفظَينِ من مادَّةِ المكْرِ، في قوله جلَّ شأنه:﴿ وَمَكَرُواْ مَكْرًا﴾ على طريقة جناسِ الاشتقاقِ، وفائدة ذلك الدَّلالةُ عَلى تمكُّن المكْرِ مِن نُفوسِهِم، وأنَّه مَكْرٌ بالِغُ العِظَمِ، فكرَّر ألفاظَهُ إيحاءً بشُموليَّتِهِ وشِدَّتِه"[3].

السِّمَةُ الثَّالثة: الإكثار من استعمالِ بعضِ الصِّيغ والأوزان

أوَّلًا: صيغة فَعَال.

1. ﴿وَنَهَارًا ﴾ ، في قوله جلَّ شأنُه: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴾ [نوح: 5]

أصلُ (نَهَرَ) يدلُّ على تفتُّح شيءٍ أو فتحِه. وأَنهرتُ الدَّمَ: فتحتُه وأَرسلتُه. وسُمِّي النَّهْرُ

(1) يُنظر: الشربيني، محمد بن أحمد، السراج المنير: 105/2، والنَّسفي، عبد الله بن أحمد، مدارك التنزيل، 3/ 545.

(2) الرازي، محمد بن عمر، التَّفسير الكبير، 30/ 656، ومجْمَع الشَّارقة، موسوعة التَّفسير البلاغي، سورة نوح، آية: 17.

(3) مجْمَع الشَّارقة، موسوعة التَّفسير البلاغي، سورة نوح، آية: 22.

نهرًا لأَنَّهُ يَنهَرُ الأَرضَ أي يَشُـقُّها. ومنه النَّهارُ: وهو انفتاحُ الظُّلْمَةِ عن الضِّـياءِ ما بيْن طُلوع الفَجْرِ إلى غُروب الشَّـــمس [1]. و"سُمِّيَ نَهارًا لأنَّ الضِّـــياءَ يَنْهَرُ فيه، أي يَبْرُزُ كما يَبْرُزُ النَّهْرُ"[2]، " ويقال رجل نَهِر وليس بليلي، يقول صـــاحب نهار وليس بصـــاحب ليلٍ"[3]. والنَّهار اسم لكل يوم، والليل اسم لكل ليلة، لا يقال نهار ونهاران ولا ليل وليلان، إنَّما واحد النهار يوم، وتثنيته يومان، وجمعه أيام، وضد اليوم ليلة وجمعها ليال [4]. والمقصود بالنَّهار في الآية: ما بَيْنَ الفَجْرِ إلى غُرُوبِ الشَّمْسِ.

نلحظُ في شـــرحِ المفردةِ أنَّ الأصـــلَ يدورُ على معنى الفتحِ المصـــحوبِ بالانفراجِ والامتداد، ومنه تفرَّعت سائرُ الدلالات؛ إذ نُقِل من فتحِ الشيءِ حِسًّا –كإنهارِ الدمِ – إلى شـقِّ الأرضِ بجريانِ الماءِ فيها، ثمَّ اتَّسع ليُعبِّرَ عن انكشـافِ الظُّلمةِ وبروزِ الضِّـياءِ في النَّهار، فصار النَّهارُ زمنَ الانفتاحِ والظُّهور بعد الانغلاقِ والاستتار. فالدلالةُ الجامعةُ هي: فَتْحٌ يعقبهُ انفراجٌ وامتدادٌ مع بروزٍ وظهور..

وقد جاء التَّعبير القرآنيُّ بظَرفَيِ الزَّمانِ في قوله جلَّ شـأنُه: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴾ [نوح: 5]، للدَّلالة على أنَّ دعاءَ نوح– عليه السَّلام– قد عمَّ جميعَ الأوقاتِ، وأنَّه دَعاهُم إلى الإيمان بلا فُتورٍ، وبلا توانٍ، ولا هوادَةٍ، فأُريد منهما بيان المداومَة على

(1) ينظر: ابن فارس، أحمد بن زكريا، مقاييس اللغة، وابن منظور، محمد بن مكرم، لســـان العرب، مادة (نهر).

(2) ابن عاشور، محمد الطَّاهر، التَّحرير والتَّنوير، مادة 179/12.

(3) الأنصـــاري، ســـعيد بن أوس، النوادر في اللغة، تح: د. محمد عبد القادر أحمد، ص:590، وابن السكيت، يعقوب بن إسحاق، الألفاظ، ص:311.

(4) ينظر: الأزهري، محمد بن أحمد، تهذيب اللغة، وابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، والزَّبيدي، محمّد مرتضى الحسيني، تاج العروس، مادة (نهر).

الدَّعوة، وذلك لأنَّ الزَّمانَ مُنْحَصِرٌ بهما، فهُما يَشْمَلانِ كلَّ ساعات اليوم(1)، ثُمَّ إنَّه "يترصَّد الوقت الذي يتوسَّم أنَّهم فيه أقرب إلى فَهْم دعوتِه منهم في غيره من أوقاتِ النَّشاط، وهي أوقاتُ النَّهار، ومن أوقاتِ الهُدوء وراحة البالِ، وهِيَ أوقاتُ اللَّيل"(2).

أمَّا عِلَّة التَّنكيرِ فيهما فهي للدَّلالة على العمومِ والشُّمول، فقد أخبَر –عليه السَّلام– أنَّه دعاهم كلَّ ليلٍ وكلَّ نَهارٍ؛ إيماءً إلى انتفاءِ تَهاوُنِه في شأنِ الدَّعْوَةِ (3).

2. ﴿وَقَارًا﴾ ، في قوله جلَّ شأنه:﴿ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴾ [نوح: 13].

أصلُ (وَقَر) يدلُّ على ثِقَلٍ يُثبِّتُ الشيءَ ويَحُولُ دون خِفَّته أو نفوذه. يُقالُ: وَقَرَ الشيءُ يَقِرُ وَقْرًا: ثَقُلَ. ومنه الوَقْرُ في الأُذُن: ثِقَلٌ يمنع السمعَ أو يُضعِفُ نفوذَ الصوت، والوِقْرُ: الحِمْلُ لِثِقَلِه. ومنه الوَقار: ثِقَلٌ معنويّ في النفس يورثُ الحِلْمَ والرَّزانة، والتوقيرُ: إضفاءُ هذا المعنى على الغير تعظيمًا له. والمقصود به في الآية: التَّعظيمُ والإجلال.

نلحظ انتقالَ الدّلالة من الثِّقَل الحسيّ المادّي حِمل، ثِقَل في الأذن إلى أثر هذا الثِّقَل وهو المنعُ والتَّثبيت منع السمع، لزوم الشيء، ثم إلى الثِّقَل المعنوي في السلوك الرزانة والهيبة، ثمَّ إلى الدّلالة الاجتماعية في التَّوقير بوصفه معاملةً قائمةً على الاعتراف بهذا الثِّقَل المعنوي. فالتطوّر يسير من المحسوس إلى الأثر، ثمَّ إلى المجاز النَّفسي، فإلى الاستعمال القيميّ.

لقد عبَّر البيانُ القرآنِيُّ بالوقارِ، في قوله جلَّ شأنه: ﴿ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴾ [نوح: 13]؛ لدلالته على التَّعظيم الذي يَقْتَضي الإجلالَ (4)، فنفى عَنْهُم تعظيمَ الله تعالى الذي يَجِبُ على عِباده، ومِنِ انتِفاء تعظيمِهِ تَعالى عدَمُ خوفِهِم مِنَ الإهانَةِ بالعِقاب؛ وذلك بإنكارِهِم الحسابَ بعدَ البَعْثِ، ومن صُوَرِ انتفاءِ تعظيمِ الله تعالى: عدَمُ توقيرِ رسلِهِ بتركِ

(1) ينظر: البقاعي، بُرهان الدِّين، نظم الدُّرَر، 20/ 430، والهرري، محمد الأمين، حدائق الروح والريحان، 30/ 248.

(2) ابن عاشور، محمد الطَّاهر، التَّحرير والتَّنوير، 29/ 194.

(3) مَجْمَع الشَّارقة، موسوعة التَّفسير البلاغي، سورة نوح، آية: 5.

(4) ينظر: ابن عاشور، محمد الطَّاهر، التَّحرير والتَّنوير، 29/ 199.

تَصْديقِهِم والإيمانِ بِما أُرْسِلوا بهِ والعمَلِ بمقتضاهُ.

وأمَّا التَّعبيرُ بتنكير ﴿وَقَارًا ﴾؛ فللدَّلالة على انتفاءِ الوقار على وجه العمومِ، أي: ليس لهم توقيرٌ للهِ أيَّ توقيرٍ وإن كان ضـــئيلَ القَدْرِ، فإنَّ قليلَهُ أكثرُ مِن كثيرِ غيرِه وأفضَـــلُ [1]،"ووجهُ إفادَةِ العمومِ ورودُ النَّكرةِ في سياقِ النَّفْيِ، وذلك من ألفاظِ العمومِ"[2].

وأمَّا بلاغَةُ الكِنايَةِ في لَفْظِ الوقارِ فهي على تأويله بالعاقِبَةِ، بمعنى: ما لَكُم لا تَرْجونَ للهِ تَعالى عاقبَةً، أي: عاقبَةَ الإيمان، يكونُ الكلامُ كنايَةً عَنِ التَّوبيخ على تَرْكِهِم الإيمانَ باللهِ تَعالى، وكذلك الشَّـأنُ في جَعْلِ "الوقار بمعنى الثَّبات، كقوله تعالى:﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾ [الأحزاب: 33]، أي: اثبُتْنَ، ومعناه: ما لكُم لا تثبتون وحدانيَّة اللهِ"[3].

3. ﴿ خَسَارًا ﴾، في قوله جلَّ شأنه:﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَن لَّمۡ يَزِدۡهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا ﴾ [نوح: 21].

أصلُ (خسر) يدلُّ عَلى النَّقْصِ، فالخَسارة والخَيْسَرى: الضَّلالُ والهلاكُ والنُّقصانُ، والخاسِرُ: الَّذي وُضِعَ في تجارته [4]، والإِخْسارُ: جَعْلُ الآخر خاسِرًا، والخَسارُ: مِثْلُ الخَسارَةِ، وهو نُقْصَانُ التِّجارَةِ [5]، فالخسار معناه هنا: النَّقص، وَاسْتُعِير في الآية لخيبة العَمَلِ، ولحُصولِ الشَّرِّ من وسائلَ شأنُها أن تكونَ سبب خيرٍ كخسارةِ التَّاجِرِ من حيثُ أراد الرِّبحَ [6].

نلحظُ في شـرحِ المفردةِ أنَّ الأصـلَ يدورُ على معنى النُّقصـانِ المقرونِ بخيبةِ المقصـودِ وفواتِ الرِّبح، ومنه تفرَّعت سائرُ الدلالات؛ إذ نُقِل من الخسارةِ الحسيّةِ في التجارةِ إلى مطلقِ

(1) ينظر: البقاعي، بُرهان الدِّين، نظم الدُّرَر، 20/ 439.

(2) مَجْمَع الشَّارقة، موسوعة التَّفسير البلاغي، سورة نوح، آية: 13.

(3) ابن عاشور، محمد الطَّاهر، التَّحرير والتَّنوير، 29/ 200.

(4) ينظر: الفراهيدي، الخليل بن أحمد، العين، والأزهري، محمد بن أحمد، تهذيب اللغة، وابن فارس، أحمد بن زكريا، مقاييس اللغة، وابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، مادة (خسر).

(5) ابن عاشور، محمد الطَّاهر، التَّحرير والتَّنوير، 240/27.

(6) ينظر: المصدر نفسه، 207/29.

النُّقصانِ في الحظوظِ، ثمَّ اتَّسع ليشملَ الخيبةَ في الأعمالِ، فصار الخُسْرانُ يُعبِّرُ عن فسادِ السعي وعدمِ تحصيلِ ثمرتِه، كما في الاستعمالِ القرآني، حيث شُبِّه حالُ من يطلبُ الخيرَ فيؤولُ أمرُه إلى ضدِّه بحالِ التاجرِ الذي يسعى للرِّبحِ فينتهي إلى النُّقصان؛ فالدلالةُ الجامعةُ هي: نُقْصانٌ يَعقِبُ سَعْيًا مع فَوَاتِ الرِّبْحِ وخَيْبَةِ الأثَرِ..

وقد جاء التَّعبير القرآني في الآية بلفظ الخُسْرانِ ليدلَّ على نَقْصِ رأسِ المال، ولفظُ الخُسْرانِ يُستعمَلُ في المجازِ غالبًا، كقوله تعالى:﴿ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم ﴾ [الأعراف: 9]، ففي قوله: ﴿ لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا ﴾ [نوح: 21] شُبِّهوا "بمن جَعَل نفسَهُ سلعَةً تُباعُ، فَخَسِرَها، ولا خسرانَ أكثَر ممَّن عُدِمَ جميعَ رأسِ مالِه"[1]، فهو هنا دالٌّ على أنَّهم خَسِروا كلَّ شيءٍ، وهذا أشدُّ ما يَفْقِدُه الإنسانُ، وجيءَ بلفظِ الخسارِ مُنَكَّرًا؛ للدَّلالة على عِظَمِ هذا الخُسْرانِ[2].

وأمَّا بلاغَةُ الاستِعارَةِ في لَفظِ الخُسْرانِ فـ "مستعارٌ لحصول الشَّرِّ مِن وسائلَ شأنُها أن تكونَ سببَ خيرٍ، كخسارةِ التّاجر مِن حيثُ أراد الرِّبح، فإذا كان هؤلاءِ خاسِرين؛ فالذين يَتْبَعونَهُم يكونونَ مثلَهُم في الخسارةِ، وهُم يَحْسَبون أنَّهم أرشدوهُم إلى النَّجاح"[3].

4. ﴿ضَلَٰلًا ﴾ ، في قوله جلَّ شأنه: ﴿ وَقَدْ أَضَلُّواْ كَثِيرًا ۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا ﴾ [نوح: 24].

أصلُ (ضلّ) يدلُّ على ضَياعِ الشَّيءِ وذهابِه في غير حَقِّهِ[4]. والضَّلال: الغَيبُوبَةُ والخَفاءُ والسَّتْرُ، يُقالُ: ضلَّ الكافِرُ إذا غابَ عَن الحُجَّة، وضلَّ النَّاسِي، إذا غابَ عَنهُ

(1) السَّمين الحلبي، أحمد بن يوسف، عُمدة الحفاظ، مادة (خسر).

(2) ينظر: مَجْمَع الشَّارقة، موسوعة التَّفسير البلاغي، سورة نوح، آية: 21.

(3) ابن عاشور، محمد الطَّاهر، التَّحرير والتَّنوير، 29/ 207.

(4) ينظر: ابن فارس، أحمد بن زكريا، مقاييس اللغة، مادة (ضلّ).

حِفْظُه[1]. والضَّلالُ أيضًا: الانحرافُ والميلُ عنِ الطَّريقِ، يُقالُ: ضلَّ فلانٌ، يَضلُّ، ضلالًا: إذا انحرفَ وضاعَ ولم يهتدِ إلى الطَّريق، "ورجلٌ مُضَلّل، أي: لا يوفَّق لخيرٍ، صاحبُ غَواياتٍ وبَطالاتٍ"[2]، وضِدُّه: الاهتداءُ، والاستقامةُ، والرَّشادُ. والضَّلالِ هنا معناه: "السَّير في غير الطَّريق الموصل إلى النَّجاة، والمراد به: الكفر"[3].

نلحظ أنّ الدلالة بدأت من الضَّياع الحسيّ: ذهابُ الشيءِ وانفلاتُه بحيث لا يُهتدى إليه، وهو أصلٌ قائم على فقدانِ الجهة والضبط. ثم انتقلت إلى الضياع الإدراكي: كغَيبة الشيء عن الذهن نسيانًا أو عن الحُجّة عجزًا عن إدراكها، فصار الضلال غيابًا معنويًّا بعد أن كان غيابًا حسيًّا. ثم اتّسعت إلى الانحراف الحركيّ: الميل عن الطريق وعدم الاهتداء إلى المسلك الصحيح، وهو نقلٌ قريبٌ من الأصل لأن الطريق يُتصوَّر فيه القصد والجهة. وأخيرًا استقرّت في الاستعمال القرآني على الانحراف العقديّ والقيميّ، حيث صار الضلالُ سلوكًا في غير طريق الحقّ المؤدّي إلى النجاة، فخُصَّ بالكفر ونحوه.

والضَّلال في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا ﴾ مستعارٌ لعدم الاهتداء إلى طرائق المِكر الَّذي حَشِيَ نوح عليه السَّلام غائلَتَهُ في قوله: ﴿ وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا كُبَّارٗا ﴾ [نوح: 22]، ويجوز أن يكون أُطلِقَ على العذابِ المسبَّبِ عن الضَّلال، والمرادُ: عذابُ يومِ القيامة، وهُو عذابُ الإهانَةِ والآلامِ.

ويجوزُ أن يكونَ لفظُ الضَّلال محمولًا على حقيقَتِه، والمعْنى: ولا تَزِدْ في دُعائِهِم، فإنَّ ذلك لا يَزيدُهم إلّا ضلالًا، فالزِّيادةُ منهُ تَزيدُهُم كُفْرًا وعنادًا، في حالِ عَدِّ الواوِ اعتراضيَّةً، وجملةِ ﴿ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا ﴾ معترضةً، على أنَّها مِن كلامِ الله تعالى لنوحٍ عليه

(1) يُنظر: الأزهري، محمد بن أحمد، تهذيب اللغة، وابن عباد، إسماعيل بن عباد، المحيط في اللغة، وابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، مادة (ضلَّ)

(2) الفراهيدي، الخليل بن أحمد، العين، مادة (ضلَّ).

(3) طنطاوي، محمد سيد، التَّفسير الوسيط، 346/3.

السَّلامُ، والتَّقدير: وقلنا: لا تزد الظّالمين [1].

وقد جمعَ النَّظم الجليلُ بين لفظي ﴿ أَضَلُّواْ﴾ ، و ﴿ ضَلَٰلَا ﴾ ، في قوله جلَّ شأنُه: ﴿ وَقَدۡ أَضَلُّواْ كَثِيرٗاۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلَا ﴾ [نوح: 24]، وكلاهما من الجذر ضلَّ؛ وذلك ليكونَ جَزاؤُهم مِن جِنْسِ عَمَلِهم، فلا ينالونَ مَقصدَهُم كما صدّوا النّاسَ عَن مقصدِ الإيمانِ.

وآثرَ البيانُ القرآنيُّ التَّعبيرَ عَن الضَّلالِ مُنكَّرًا، في قوله جلَّ شأنه: ﴿ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلَا ﴾؛ للدَّلالة على تعظيم الضَّلالِ المسؤولِ، بأن يُطْبَع على قلوبِهم طبعًا بحيثُ يَعْمَونَ عن الحقِّ، ويَضِلّون عن جميعِ مقاصِدِهم، حتّى ما كان مِنها باطلًا، فلا يتحقَّقُ منها شيءٌ[2]، فليس المرادُ مِن الضَّلالِ نقيضَ الهِداية، بل أراد به ما يتعلَّق بأمْرِ الدُّنيا، لا في أمر الآخرة[3]، فإنَّ الضَّلالَ عن طريق الحقِّ والتَّوحيد، ينافي دعوةَ نوحٍ عليه السَّلامُ قومَه إلى الاستغفارِ والإيمان بالبَعْثِ[4].

5. ﴿تَبَارٗا ﴾ ، في قوله جلَّ شأنه: ﴿ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارٗا ﴾ [نوح: 28].

أصلُ تبر يدلُّ على الكَسْرِ والإهلاكِ، يُقالُ: "تبَّر الله عملَ الكافر، أي: أهلكه، وأبطله"[5]، و"التَّتْبيرُ: التَّدْمِيرُ، وكلُّ شيءٍ كسَّرْتَهُ، وفَتَّتَّهُ، فقد تَبَّرْتَهُ، ويُقالُ: تَبِرَ الشَّيءُ يَتْبَرُ تَبارًا"[6]، "ومنه تبر الذَّهب، أي: المكَسَّر المفتَّت، وكذلك يُقالُ لِفُتات الرُّخام والزُّجاج:

(1) ينظر: ابن عاشور، محمد الطَّاهر، التَّحرير والتَّنوير، 29/ 211.

(2) ينظر: البقاعي، بُرهان الدِّين، نظم الدُّرَر، 20/ 452.

(3) ينظر: الخازن، أبو الحسن الشيحي، لباب التأويل، 4/ 347.

(4) ينظر: ابن عاشور، محمد الطَّاهر، التَّحرير والتَّنوير، 211/29.

(5) ابن فارس، أحمد بن زكريا، مقاييس اللغة، والراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، مادة (تبر).

(6) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، مادة (تبر).

تبر[1]، ابنُ الأعرابي: المتبورُ الهالكُ، والمتورُ النَّاقصُ"[2]، والتَّبارُ في الآية مراد به: الهَلاكُ والخَسارُ والدَّمارُ [3].

نلحظ أن الأصل الحسيّ في تَبَر يدور على الكسر والتفتيت والإهلاك المادّي؛ أي تحويل الشيء المتماسك إلى أجزاءٍ منثورةٍ أو إبطاله كليًّا. ومن هذا المعنى المادي المباشر تفرّعت الدلالات: فصار التَّتْبير هو الإفساد والتدمير لأنه يقوم على إبطال البنية وكسرها، ثم استُعمل الفعل في الإهلاك العام لكل ما يُبطل أثر الشيء أو وجوده.

وفي الاستعمال القرآني، استقر "التّبار" على معنى الهلاك الشامل والخسران التام، وهو امتداد مجازي للأصل الحسي، إذ صُوِّر فساد العمل أو زواله كأنَّه تفتيتٌ وكسرٌ يذهب به عن التَّماسك والوجود.

جاء التَّعبيرُ في الآية الكريمة بلفظِ التَّبارِ، وهو مأخوذ من التِّبر، وهو فتاتُ الذَّهبِ والفضَّة قبل صَوْغِهما [4]؛ للتَّعبير عن الدُّعاء عليهم بالهلاك والتَّدمير المفتِّتَيْنِ، فكان عاقبةُ أمرِهم الغرقَ والزَّوالَ واستِئصالَهُم وعِقابَهُم [5]، "فهو تخصيصٌ للظّالمين مِن قومِه بسُؤال استِئصالِهم بعدَ أن شَمِلَهُم وغيرَهم بعمومِ قوله: ﴿ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴾ [نوح: 26]؛ حرصًا على سلامةِ المجْتَمَع الإنسانيّ مِن شوائِبِ المفاسِد، وتطهيره مِن العناصِر الخبيثَةِ"[6].

(1) ابن عطية، عبد الحق بن غالب، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، 211/4.

(2) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، والزَّبيدي، محمّد مرتضى الحسيني، تاج العروس، مادة (تبر).

(3) ينظر: ابن عاشور، محمد الطَّاهر، التَّحرير والتَّنوير، 215/29.

(4) ينظر: ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، مادة (تبر).

(5) ينظر: البقاعي، بُرهان الدّين، نظم الدُّرَر، 20/ 459، القِنَّوجي، محمد صديق خان، فتحُ البيان في مقاصد القرآن، عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: خادم العلم عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، 14/ 345.

(6) ابن عاشور، محمد الطَّاهر، التَّحرير والتَّنوير، 29/ 215.

ثانيًا: صيغة فِعال.

1. ﴿فِرَارًا﴾، في قوله جلَّ شأنه: ﴿ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارًا ﴾ [نوح: 6].

أصلُ (فرّ) أصلٌ يدلُّ على الانكشاف، وما يُقاربه من الكشف عن الشَّيء، ومن هذا القياس: الفِرار، وهو الانكشـــاف، والفِرارُ: الرَّوَغان والهَرَبُ [1]، فَرَّ يَفِرُّ فِرَارًا؛ إذا هَرَبَ من طالبه، وزاغ عن عينه، "وَرَجُلٌ فَرورٌ وفَرورةٌ وفَرَّار: غَيْرُ كَرَّارٍ"[2]، والمراد به في الآية الكريمَةِ: التَّباعدُ عن الإيمانِ، وهو "مُستعارٌ لقُوَّةِ الإعراضِ"[3].

نلحظ أنَّ الأصـــل الحســـيّ في فَرَّ يقوم على الانفصـــال المفاجئ والانكشـــاف بعد الاستتار أو الثَّبات؛ أي انتقال الشَّيء من حالة القُرْب أو المواجهة إلى حالة الابتعاد السَّريع. ومن هذا الأصـــل تفرَّعت الدّلالة إلى الهرب والرَّوغان، لأنَّ الفارَّ يكشـــف موضـــعه ثمَّ يقطعه سريعًا طلبًا للنَّجاة، فاجتمع في المعنى عنصران: الانكشاف ثم الابتعاد.

وفي الاستعمال القرآني انتقل اللفظ إلى المجال المعنوي العقدي، فصار "الفرار" استعارة عن الإعراض الشَّديد عن الإيمان، أي تركه والابتعاد عنه كما يبتعد الهارب عن موضع الخطر.

وقد عبَّر النَّظم القرآنِيُّ بالفرار في الآية الكريمة لدلالتِهِ على الهُروب، وهو مُســـتعمَلٌ – هنا – للدَّلالة على قوَّة الإعراضِ عَنِ الدَّعوة والإيمانِ، أَي: فلَمْ يَزِدْهُم دعائي قُرْبًا إلى الحقِّ، بل زادهم بُعْدًا ونفورًا [4]، وجيء بلفظِ الفِرارِ مُنَكَّرًا؛ لما في التَّنكير من دلالةٍ على التَّعظيم، فدلَّ هذا على عِظَمِ فِرارِهِم وبُعْدِهِم عن الحقِّ والدَّعوة وإعراضِهِم عَنْهُما [5].

2. ﴿جِهَارًا﴾، في قوله جلَّ شأنه: ﴿ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴾ [نوح: 8].

---

(1) ينظر: ابن فارس، أحمد بن زكريا، مقاييس اللغة، وابن منظور، محمد بن مكرم، لســـان العرب، مادة (فر/فرر).

(2) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، مادة (فرر).

(3) ابن عاشور، محمد الطَّاهر، التَّحرير والتَّنوير، 194/29.

(4) ينظر: المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

(5) البقاعي، بُرهان الدِّين، نظم الدُّرَر، 20/ 430.

أصلُ (جَهْرٌ) أصلٌ واحدٌ، "وهو إعلانُ الشَّيءِ وكشفُهُ وعُلُوُّهُ"[1]. يُقالُ: جَهَرَ الشيءُ: عَلَنَ وبَدا؛ وجَهَرَ بكلامِه ودُعائه وصَـوْته وصـلاتِه وقِراءته يَجْهَرُ جَهْرًا وجِهارًا، وأَجْهَرَ بقراءته لُغَةٌ وجَهَرْتُ [2]. ورجلٌ جَهِير الصَّـوتِ: أَي عالي الصَّـوْت، وكذلك رجُلٌ جَهْوَريُّ الصَّـوْت: رفيعـه. والجَهْرَةُ: مـا ظَهَرَ. ورآهُ جَهْرَةً: لم يكن بينهُمـا سِـــترٌ؛ ورأَيتـه جَهْرَةً وكلمتُـه جَهْرَةً. وَالمقصود بالجَهْرِ في الآية: قُوَّةُ صَوْتِ النَّاطِقِ بِالْكَلَامِ.

نلحظ أنَّ الأصل الحسيّ في جَهَر يقوم على الظُّهور مع العُلُوّ والانكشاف دون ستر؛ أي خروج الشَّـيء من حالة الخفاء إلى حالة البروز المصحوب بالارتفاع أو الوضوح الشَّديد. ومن هذا الأصـل تفرّعت الدلالة إلى الإعلان الصـوتي؛ لأنَّ رفع الصَّـوت هو أوضـح صـور الإظهار الحسيّ للكلام، فصار "الجهر" مقابلًا للإسرار.

ثمَّ اتَّسع المعنى من مجرد رفع الصَّوت إلى كلِّ ما فيه إظهار وكشف بلا حجاب، سواء في القول أو الرُّؤية، فقيل: "رأيته جهرة" أي بلا واسطة ستر، فانتقل اللَّفظ من المجال السَّمعي إلى المجال البصـري، مع بقاء عنصـر "عدم الحجاب". ثمَّ اسـتقرَّ في الاسـتعمال اللُّغوي على دلالة قوَّة الصَّوت ووضوحه، بوصفه الصُّورة الأبرز للظُّهُور..

ومن هنا فقد عبَّر النَّظمُ الجليلُ بالجَهْرِ، في قوله جلَّ شـــأنه: ﴿ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴾ [نوح: 8]؛ لدلالته على "الظّاهر المكشـوف، وهُو ضـدُّ السِّـرِّ"[3]، فدلَّ على أنَّه دعاهُم مُكاشـــفَةً في فخامَةٍ مِنَ الصَّـــوت، فكان يُخاطِبُهُم مُقْبِلًا عليهِم بلا احتِجابٍ أو ارتِقابٍ، بَل مُجاهرَةً ومُباغتَةً، وهُو هُنا حالٌ يبيّن هيئَةَ المتكلِّم حالَ دَعْوَتِه قَوْمَهُ، أي: مُجاهرًا بالدَّعْوَةِ [4].

(1) ابن فارس، أحمد بن زكريا، مقاييس اللغة، مادة (جهر).

(2) ينظر: الفراهيدي، الخليل بن أحمد، العين، وابن دريد، محمد بن الحســـن، جمهرة اللغة، والجوهري، إسماعيل بن حماد، الصّحاح؛ وابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: (جهر).

(3) السَّمين الحلبي، أحمد بن يوسف، عُمدة الحفاظ، مادة (جهر).

(4) ينظر: الأندلسي، أبو حيان محمد بن يوسف، البحر المحيط، 10/ 282

3. ﴿طِبَاقًا﴾، في قوله جلَّ شأنه:﴿ أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴾ [نوح: 15].

أصلٌ (طبق) "يدلُّ على وضع شيءٍ مبسوط على مثله حتَّى يغطِّيه"(1). المطابقةُ من الأسماء المُتضايفة، وهو أن تجعل الشَّيء فوق آخر بقدره، ومنه: طَابَقْتُ النَّعلَ، ثمَّ "يُستعمَل الطِّباقُ في الشَّيء الَّذي يكون فوق الآخر تارةً، وفيما يُوافق غيره تارةً، كسائر الأشياء الموضوعة لمعنيين، ثمَّ يُستعمَل في أحدهما دون الآخر كالكأس والرَّاوية ونحوهما"(2)، وأمَّا الطِّباقُ في الآية؛ فيجوزُ أن يكون مصدَر طابقَ وُصِفَتْ به السَّماواتُ للمُبالغةِ، أي: شديدةُ المطابقةِ، أي: مُناسِبَةٌ بَعضُها لبعضٍ في النِّظامِ، ويَجوزُ أن تكونَ طباقًا جمعَ طَبَقٍ، والطَّبَقُ المساوي في حالةٍ ما، ومنه قولُهم في المَثَلِ: "وَافَقَ شَنٌّ طَبَقَهُ"(3)، والمراد بها في الآية: "أنَّها مُرتفِعٌ بَعضُها فوقَ بعضٍ في الفَضاءِ السَّحيقِ"، أو "أنَّها مُتماثلةٌ في بعْضِ الصِّفاتِ، مِثْلُ التَّكويرِ والتَّحرُّكِ المنتَظِم"(4).

نلحظُ هنا أنَّ الأصلَ الحسّيَّ في طبق يقومُ على التراكُبِ مع التماثُلِ؛ أي انطباقِ سطحٍ على سطحٍ بحيثُ يُغَطِّيهِ ويُحاذيهِ بلا فَضْلٍ ولا نُقصان. ومن هذا الأصلِ تفرّعت الدلالةُ إلى الطبقاتِ المتراكِبةِ؛ لأنَّ تكرارَ هذا الفعلِ يُنشئُ بُنيةً من مستوياتٍ يعلو بعضُها بعضًا، فانتقلَ اللّفظُ من الفعلِ إلى الهيئةِ. ثمَّ اتّسعَ المعنى إلى الموافقةِ والمشاكلةِ؛ لأنَّ الانطباقَ الحسّيَّ لا يكونُ إلا مع التَّناسبِ، فاستُعيرَ للتَّماثلِ المعنويّ بين الأشياء..

وجاء التَّعبير في الآية بلفظ الطِّباق، وهو لفظ يدلُّ على جعلِ الشَّيء فوقَ آخرَ بقَدْرِه، أي: جَعَلَ بعضَها فوقَ بعضٍ(5)، "وأعلى مِن بعضٍ، سواءٌ أكانت مُتماسَّة أم كان

(1) ابن فارس، أحمد بن زكريا، مقاييس اللغة، مادة (طبق).
(2) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، مادة (طبق).
(3) العسكري، أبو هلال، الحسن بن عبد الله بن سهل، جمهرة الأمثال، 336/2.
(4) ابن عاشور، محمد الطَّاهر، التَّحرير والتَّنوير، 16/29.
(5) يُنظر: الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، مادة (طبق).

بينَها ما يُسمّى بالخلاء"[1]، والوارِدُ في الأخبارِ أنَّها غيرُ متماسَّةٍ[2]، وكلُّ واحدة في التي تليها محيطة بها، وهذا مِن المطابقةِ بين المتَقابلات الذي يُعَدُّ في غاية الصُّعوبة، ولا يقدر عليها من جميع الوجوه أحَدٌ إلّا اللهُ تعالى[3].

وأمَّا الفرق بين الطَّبقة والدَّرجة: فالدَّرجة تدلُّ على الارتقاء والعلوّ والصُّعود، بخلافِ الطَّبقة، فهي ما وُضِعَ فوقَ شيءٍ مساويًا له، وقد جاء التَّعبيرُ بالطِّباق في آيةِ سورةِ نوحٍ عليه السَّلامُ؛ لكون السَّماواتِ ليست منازلَ للصُّعود والارتقاء، وإنَّما المراد: سبع سماوات طباقًا بعضُهنَّ فوقَ بعضٍ[4].

4. ﴿سِرَاجًا ﴾، في قوله جلَّ شأنه:﴿ وَجَعَلَ ٱلشَّمۡسَ سِرَاجًا ﴾ [نوح: 16].

سرج أصلٌ "يَدُلُّ عَلى الحُسْنِ والزّينَةِ وَالجَمالِ، ومِنْ ذَلِكَ: السِّراجُ، سُمِّيَ لِضِيائِهِ وَحُسْنِهِ"[5]، "والشَّمسُ: سِراجُ النَّهارِ، والهدى: سِراجُ المؤمنينَ، وسَرَّجَ اللهُ وجهَهُ، وبَهَجَه، أي: حَسَّنَه"[6]، والسِّراجُ في الآية معناه: "المصباح الَّذي يُستضاء به في الظُّلمات"[7].

نلحظُ أنَّ الأصلَ الحسّيَّ في سرج يقومُ على الضِّياءِ المشْرِقِ المزَيّنِ؛ أي النُّورِ الذي يجمعُ بين الإضاءةِ والحُسْنِ، فهو ليس مجرّدَ إنارةٍ، بل إنارةٌ مُبهِجةٌ تُضفي جمالًا على ما حولها. ومن هذا الأصلِ تفرّعت الدلالةُ إلى كلِّ ما فيه إضاءةٌ مُحسَّنةٌ، فسمِّيَ السِّراجُ بذلك لِما فيه من نورٍ وزينةٍ. ثمَّ اتّسعَ المعنى إلى المجالِ المعنويّ، فاستُعيرَ للهدايةِ؛ لأنَّها تُنيرُ القلوبَ كما يُنيرُ السِّراجُ الأبصارَ، مع ما فيها من حُسْنٍ وبهاءٍ..

(1) ابن عاشور، محمد الطَّاهر، التَّحرير والتَّنوير، 29/ 202.

(2) ينظر: ابن العثيمين، محمد بن صالح، القول المفيد على كتاب التوحيد، 542/2.

(3) ينظر: البقاعي، بُرهان الدِّين، نظم الدُّرَر، 20/ 442.

(4) ينظر: الماوردي، علي بن محمد، النكت والعيون، 6/ 102.

(5) ابن فارس، أحمد بن زكريا، مقاييس اللغة، مادة (سرج).

(6) الفراهيدي، الخليل بن أحمد، العين، مادة (سرج).

(7) طنطاوي، محمد سيد، التَّفسير الوسيط، 223/11.

وقد شبَّه النَّظم الجليل الشَّمس بالسِّراج، في قوله جلَّ شأنه: ﴿ وَجَعَلَ ٱلشَّمۡسَ سِرَاجٗا ﴾، على طريقة التَّشبيه البليغِ، فحُذِفَت الأداةُ ووجهُ الشَّبهِ، أي: إنَّ الشَّمس كالسِّراج والمصباحِ في إزالةِ ظُلْمَةِ اللَّيل، "فيُبْصِرُ أهلُ الدُّنيا في ضوئِها الأرضَ والآفاقَ، كما يُبْصِرُ أهلُ البيتِ بالسِّراج ما يَحْتاجونَ إلى إبْصارِه"(1)، والقَصْدُ مِن هذا التَّشبيه "تقريب المشَبَّه من إدراك السّامع، فإنَّ السِّراج كان أقصى ما يُستَضاءُ به في اللَّيل، وقلَّ من العرب مَن يتَّخِذُه، وإنَّما كانوا يَرَونَهُ في أَدْيرَةِ الرُّهبان أو قصور الملوك وأَضرابِهِم"(2).

كما نُكِّرَ لفظ السِّراج في الآية؛ لتعظيم ضوء الشَّمس، أي: جَعَل الشَّمسَ "نورًا عظيمًا كاشفًا لظُلْمَة اللَّيل عن وجه الأرضِ"(3).

وأمَّا الفرق بين المصباح والسّراج فالمِصْباحُ: الأصل فيه الجُمْرةُ، وهو مقرُّ السِّراج، أمّا السِّراج؛ فهو المتَّقد للإضاءة، ولهذا لما أُريدَ مَعْنى الإضاءة لأهل الأرض في آية سورة نوحٍ عليه السَّلامُ؛ عُبِّر بالسِّراج؛ لأنَّه أنسَبُ لبَيانِ الضّياءِ (4).

5. ﴿بِسَاطٗا ﴾، في قوله جلَّ شأنه:﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ بِسَاطٗا ﴾ [نوح: 19].

بَسَطَ أصلٌ "يدلُّ على امتِدادِ الشَّيءِ، في عِرَضٍ أَو غَيرِ عِرَضٍ، فَالبِساطُ: ما يُبْسَطُ، والبَساطُ: الأَرضُ، وَهِيَ البَسيطَةُ"(5)، وبَسْطُ الشَّيء: نَشْرُه وتَوْسيعُه، فتارةً يُتَصَوَّر منه الأمْرانِ، وتارةً يُتَصوَّر منه أحدُهما، ويقال: بَسَطَ الثَّوبَ؛ إذا نشرَهُ، ومنه: البِسَاط، وذلك اسم لكلِّ مَبْسُوط، قال الله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ بِسَاطٗا ﴾، والبِساط: الأرض

(1) الهرري، محمد الأمين، حدائق الروح والريحان، 30/ 256.

(2) ابن عاشور، محمد الطَّاهر، التَّحرير والتَّنوير، 29/ 203.

(3) البقاعي، بُرهان الدِّين، نظم الدُّرَر، 20/ 443.

(4) ينظر: مجمع الشَّارقة، موسوعة التَّفسير البلاغي، سورة نوح، آية: 16.

(5) ابن فارس، أحمد بن زكريا، مقاييس اللغة، مادة (بسط).

الـــمُتَّسعة [1]، والبسط في الآية معناه: الاتِّساع في الشَّي، والمراد: مَبسوطة، مُتَّسِعة، مُمَهَّدة كالفِراشِ تتقلَّبون فيها.

نلحظُ أنَّ الأصـلَ الحسّـيَّ في بسـط يقومُ على نَشْـرِ الشَّـيءِ بعدَ انطوائِهِ حتّى يمتدَّ ويتَّسِعَ، أي انتقالِه من حالةِ الضِّيقِ والانقباضِ إلى حالةِ الامتدادِ والانفراج. ومن هذا الأصلِ تفرّعت الدلالةُ إلى الاتِّسـاعِ مطلقًا؛ لأنَّ النَّشرَ يُفضي إلى السَّعة، فصار يُقالُ لكلِّ واسعٍ: مبسـوط. ثمَّ اتّسـعَ المعنى إلى ما يُمَهَّدُ ويُهيَّأُ للانتفاعِ، كالبِسـاطِ، لأنَّهُ ممدودٌ مُمَهَّدٌ للجلوسِ أو الاضطجاع..

البِســـاطُ: ما يُفرَشُ للنَّومِ عليه، والجلوسِ؛ مِن ثَوبٍ أو زَرْبيَّةٍ؛ فالإخبارُ عن الأرضِ ببِسـاطٍ تَشـبيهٌ بَليغٌ، أي: كالبِسـاطِ، ووَجْهُ الشَّـبَهِ: تَناسُـبُ سـطْحِ الأرضِ في تَعادُلِ أجزائِه بحيث لا يُوجِعُ أرجُلَ الماشينَ، ولا يُقِضُّ جُنوبَ المضطجعينَ.

وليس المرادُ هنا أنَّ اللهَ جَعَلَ حجْمَ الأرضِ كالبِســاطِ؛ لأنَّ حجْمَ الأرضِ كُرَويٌّ، وقد نبَّهَ على ذلك بالعِلَّةِ الباعثةِ في قولِه: لَكُمْ، والعِلَّةِ الغائيَّةِ في قولِه: لِتَسْــلُكُوا مِنْهَا سُــبُلًا، وحَصَلَ مِن مَجموعِ العِلَّتينِ الإشارةُ إلى جَميعِ النِّعَمِ الَّتي تَحصُلُ للنَّاسِ مِن تَسويةِ سطْحِ الأرضِ مِثل الحرْثِ والزَّرعِ، وإلى نِعمةٍ خاصَّـةٍ، وهي السَّـيرُ في الأرضِ، وخُصَّـت بالذِّكرِ؛ لأنَّها أهمُّ؛ لاشتِراكِ كلِّ الناسِ في الاستفادةِ منها [2].

وشـبَّه النَّظم الجليلُ الأرضَ بالبسـاط، في قوله جلَّ شـأنه: ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ بِسَاطٗا ﴾؛ للدَّلالة على أنَّها متَّســعةٌ كالبِســاط والفراش، وذلك لتَسْــهيلِ تقلُّبِهِم وحركَتِهِم عليها، كما يُقَلِّبون في بيوتِهم بُسُطَهم [3]، وهو تشبيهٌ بليغٌ؛ إذ قَدْ حُذِف وجهُ الشَّبَهِ والأداةُ، والمعنى: هي كالبِســاط في تعادُلِ الأجزاء، "فلا يوجِعُ أرجلَ الماشــين، ولا يَقُضُّ جُنوب

(1) ينظر: الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصّحاح. والراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، مادة (بسط).

(2) يُنظر: ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، 205/29.

(3) ينظر: الهرري، محمد الأمين، حدائق الروح والريحان، 30/ 258.

المضْطَجِعين"[1].

6. ﴿فِجَاجًا﴾، في قوله جلَّ شأنه:﴿ لِّتَسْلُكُواْ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴾ [نوح: 20].

نلحظُ أنَّ الأصلَ الحسّيَّ في فجّ يقومُ على انفِراجِ ما كانَ مُلتَئِمًا حتّى يَتَّسِعَ ويَنفتحَ، أي خروجِ المكانِ من الضِّيقِ والانضمامِ إلى السَّعةِ والانكشاف. ومن هذا الأصلِ تفرّعت الدلالةُ إلى الطُّرقِ الواسعةِ؛ لأنَّها مواضعُ انفتاحٍ بين المرتفعاتِ، فسُمِّيَت فِجاجًا. ثمَّ استقرَّ الاستعمالُ على الدلالةِ على كلِّ طريقٍ واسعٍ ممتدٍّ، مع بقاءِ عنصرِ الانفراجِ والاتّساع..

وقد عبَّرَ النَّظمُ الجليلُ بالفِجاجِ في الآية؛ ليدلَّ على الطُّرقِ الواسعةِ المنفتحةِ بين الجبالِ، المهيَّأةِ للسَّيرِ والانتقالِ، فجمعَ اللفظُ بين معنى الانفراجِ والاتّساعِ الميسّرِ للحركةِ..

كما جَمَعَ البيانُ القرآنيُّ بين لفظ السُّبل ولفظ الفِجاج، في قوله جلَّ شأنه: ﴿لِّتَسْلُكُواْ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴾؛ للدَّلالة على أنَّ هذه الطُّرقَ واضحَةٌ مسلوكَةٌ مطروقة بكثرةٍ، كما دلَّ على ذلك لفظُ السُّبُلِ، وللدَّلالة على أنَّها متَّسعة كافية للسَّير عليها بلا ضيقٍ، كما دلَّ على ذلك لفظُ الفِجاج؛ إذ الفَجُّ: الطَّريق الواسع، وأكثر ما يُطلق على الطَّريق بين جبلين؛ لأنَّه يكون أوسعَ مِنَ الطَّريق المعتاد، وفائدةُ ذلك التَّنبيه على أنَّها نعمةٌ لبلوغ البلادِ الشّاسعة برًّا وبحرًا، فيعمُّ الانتفاعُ بجميعِ البِقاع[2].

"وأمَّا دلالَةُ تنكيرِ الموْصوفِ وصِفَتِهِ فقد أوثِرَ التَّعبيرُ عن الصِّفة وموصوفِها ﴿ سُبُلًا فِجَاجًا ﴾ مُنَكَّرَيْنِ؛ للدَّلالة على كَثْرَتِها ووُضوحِها، وكثرة سلوكِها والإفادةِ مِنْها، كما أنَّ في التَّنكيرِ مَعْنى التَّنويعِ، فهي سبلٌ متنوّعةٌ مختلفةٌ"[3].

ثالثًا: صيغة إِفْعال.

(1) ابن عاشور، محمد الطَّاهر، التَّحرير والتَّنوير، 29/ 205؛ وينظر: ابن جزي، محمد بن أحمد، التسهيل لعلوم التنزيل، 2/ 415.

(2) ينظر: البقاعي، بُرهان الدِّين، نظم الدُّرَر، 20/ 445- 446، وابن عاشور، محمد الطَّاهر، التَّحرير والتَّنوير، 29/ 205.

(3) مجمع الشَّارقة، موسوعة التَّفسير البلاغي، سورة نوح، آية: 20.

7. ﴿إِسْرَارًا ﴾، في قوله جلَّ شأنه: ﴿ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعۡلَنتُ لَهُمۡ وَأَسۡرَرۡتُ لَهُمۡ إِسۡرَارٗا ﴾ [نوح: 9].

أصلُ (سرّ) أصلٌ يدلُّ على إخفاءِ الشَّيء، وما كانَ مِنْ خالصِهِ ومُستقرّهِ، لا يَخرُجُ شيءٌ منه عَنْ هذا، فالسِّرُّ: ما يُكْتَمُ في النَّفْسِ، يُقالُ: أَسَرَّ الشَّيءَ، أي: أخفاهُ وكَتَمَهُ، وضِدُّهُ: الإعلان، ويُستعمَلُ في الأعيانِ والمعاني، يُقالُ: أَسْرَرْتُ إليه كلامًا، أي: أخبرتُه به خُفيَةً، وسِرُّ كُلِّ شيءٍ: جَوْفُهُ وداخِلُهُ، والجمعُ: أسرارٌ وسرائرُ [1]، والإسرار في الآية معناه: إخفاءُ الكلامِ عنْ أن يَسمَعَه سامعٌ. "والسِّرُّ: ما أَخفَيتَ، وكَتَمْتَ، والجَمْعُ: أَسرار"[2]، والمراد في الآية الكريمة: كلَّمتهم فيما بَيْني وبينَهُم [3].

نلحظُ أنَّ الأصلَ الحسّيَّ في سرّ يقومُ على سَتْرِ الشَّيءِ في داخِلٍ مُنْغَلِقٍ؛ أي حَجْبِهِ عن الظُّهورِ وإيداعِهِ في موضعٍ لا يَطَّلِعُ عليه غيرُه. ومن هذا الأصلِ تفرّعت الدلالةُ إلى الكِتْمانِ في القولِ والمعنى؛ لأنَّ إخفاءَ الكلامِ يُشبهُ إيداعَهُ في باطنٍ مستور. ثمَّ اتّسعَ المعنى ليشملَ كلَّ ما كانَ باطنًا خالصًا في الشيءِ، فصار السِّرُّ يُطلقُ على جوهرِهِ ودخيلتِه، مع بقاءِ معنى الاستتار..

ثالثًا: صيغة أَفْعال.

1. ﴿أَطۡوَارًا ﴾، في قوله جلَّ شأنه: ﴿ وَقَدۡ خَلَقَكُمۡ أَطۡوَارًا ﴾ [نوح: 14].

أصلٌ (طور) "يدلُّ على الامتدادِ في شيءٍ مِن مكانٍ أو زمان"[4]، "والطَّوْر: التّارةُ، يُقال: طَوْرًا بَعْدَ طَوْر، أي: تارةً بعد تارةٍ، والنّاسُ أطوارٌ، أي: أَصْنافٌ، على حالاتٍ شَتَّى، قال: "والمرْءُ يُخلَقُ طَورًا بعد أَطوارٍ"[5]، والمراد به في الآية الكريمة: شيئًا بعد شيءٍ، ومُختَلِفين

(1) ينظر: ابن فارس، أحمد بن زكريا، مقاييس اللغة، مادة (سر).
(2) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، مادة (سرر).
(3) ينظر: الواحدي، علي بن أحمد، التفسير البسيط، 22/ 252.
(4) ابن فارس، أحمد بن زكريا، مقاييس اللغة، مادة (طور).
(5) الفراهيدي، الخليل بن أحمد، العين، مادة (طور).

على حالاتٍ شَتّى [1].

نلحظُ أنَّ الأصلَ الحسّيَّ في طور يقومُ على انتقالِ الشَّيءِ وامتدادِهِ من حالٍ إلى حالٍ على التتابع، أي تدرُّجِه عبر مراحلَ متعاقبةٍ في الزمانِ أو المكان. ومن هذا الأصـــلِ تفرّعت الدلالةُ إلى التَّكرارِ المرحليّ تارةً بعد تارة، ثمَّ إلى اختلافِ الأحوالِ والهيئاتِ؛ لأنَّ كلَّ مرحلةٍ تمثّلُ حالًا متميّزةً عمّا قبلها. ثمَّ استقرَّ الاستعمالُ على معنى المراحلِ المتعاقبةِ المتغايرة...

وقد عبَّر البيانُ القرآنِيُّ بالأطوار، في قوله جلَّ شـأنه: ﴿ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴾، بمعنى: أنَّه خلقَكُم تارةً بعد تارةٍ، وهُوَ إشارةٌ إلى مضمونِ قوله تعالى:﴿ فَإِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ ﴾ [الحج: 5][2]، فالطَّور هو التّارةُ، وهي المرّة مِنَ الأفعالِ أو الزَّمان، فهو تعبيرٌ عمّا يَحْصُـــل في المرّات والأزمانِ مِن أحوالٍ مختلِفَةٍ في خَلْقِ الإنســـانِ[3]، أي: إنَّكم تَعْلَمون أنَّ الله تعالى قد خَلَقَكُم، وقَدَّرَكُم حالًا بعد حالٍ، عناصرَ ثمَّ أخلاطًا ثُمَّ نطفةً ثُمَّ علقَة ثمَّ مضغَة، ثمَّ عظامًا ولحومًا، ثُمَّ جَعَلكم خلقًا آخر، وجاء التَّعبيرُ بصيغَةِ الجَمْعِ والتَّنكيرِ؛ للدَّلالة على اختلافِ الأطوار وتنوُّعها وكثرتِها، فَهُم في صفاتٍ مُتَباينَة وحالاتٍ مختَلِفَةٍ[4].

وفي وَصْـفِ كونِ خَلْقِهِم أطوارًا تعريضٌ بكُفْرِهِم النِّعمةَ؛ لأنَّ الأطوار التي يعلمونَها دالَّةٌ على رِفْقِه سُبحانَهُ بِهِم في ذلكَ التَّطوُّر، ودالَّةٌ على حكمَةِ الخالقِ وعِلْمِه وقُدْرَته، فإنَّ في بقاءِ الذّات واحدةً على الرُّغم من تطوُّر الخلقِ مِن طَور النُّطفة إلى طورِ الشَّـــيخوخة ثُمَّ المَوْتِ ثُمَّ فناء الأجســـاد بعدَ الموتِ؛ لَدليلًا على كمالِ الخالقِ في الخلقِ والتَّبديل في الأطوار، وهُم يُدْرِكون ذلك بأَدْنى التِفاتِ الذِّهن، فكانوا مَحْقوقين، بأنْ يَتَوَصَّـــلوا به إلى معرفةِ عظمَةِ اللهِ

(1) ينظر: الواحدي، علي بن أحمد، التفسير البسيط، 22/ 257.

(2) ينظر: الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، مادة (طور).

(3) ينظر: ابن عاشور، محمد الطَّاهر، التَّحرير والتَّنوير، 29/ 201.

(4) ينظر: الهرري، محمد الأمين، حدائق الروح والريحان، 30/ 254- 255.

تَعالى وتوقُّع عقابه؛ لأنَّ الدَّلالة على ذلكَ قائِمَةٌ بأَنفُسِهِم[1].

2. ﴿أَنصَارًا﴾، في قوله جل شأنه: ﴿ فَلَمۡ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا ﴾ [نوح: 25].

أصلُ (نَصَرَ) "يَدُلُّ على إِتْيَانِ خَيْرٍ وَإِيتَائِهِ"[2]. "النَّصرُ: عَوْنُ المظلوم. والنُّصْرة: حُسْنُ المعُونة"[3]. والنَّصِير فَعِيلٌ بِمَعْنَى فاعِل أَو مَفْعُولٍ؛ لأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ المتَناصِرَيْن ناصِرٌ ومَنْصُورٌ. والاسْتِنْصار: اسْتِمْداد النَّصْر. والتَّناصُر: التَّعاون عَلَى النَّصْر [4]. وأَمَّا الإتيانُ فالعَرَبُ تَقُولُ: نَصَرْتُ بَلَدَ كَذَا، إِذَا أَتَيْتَهُ؛ وَلِذَلِكَ يُسَمَّى الـمَطَرُ نَصْرًا. والنَّصْرُ: الْعَطَاءُ [5]. والمرادُ بالأنصار في الآية: جمع نصير، مُبَالَغَةٌ فِي النَّاصِرِ.

نلحظُ أنَّ الأصلَ الحسّيَّ في نصر يقومُ على إتيانِ الخيرِ إلى الغيرِ وإيصالِهِ إليه، أي وصولِ نفعٍ مُعينٍ من خارجٍ إلى محتاجٍ له. ومن هذا الأصلِ تفرّعت الدلالةُ إلى المعونةِ والدَّفعِ؛ لأنَّ إعانةَ المظلومِ إيتاءُ خيرٍ يدفعُ عنهُ الضُّرَّ. ثمَّ اتّسعَ المعنى ليشملَ كلَّ تأييدٍ وعطاءٍ، مادّيًّا كانَ أو معنويًّا، مع بقاءِ عنصرِ الإمدادِ بالنفع..

وقد عُبِّر في الآية الكريمة بالأنصار جمعًا مُنكَّرًا؛ للدَّلالة على العمومِ، أي: لم يجدوا أحدًا يُمْكِنُ أن يَمنَعَهُم مِن عذابِ الله – تعالى – ولو كانوا مجتمِعينَ [6].

رابعًا :الإكثار من أسلوبِ القصر بالاستثناءِ بَعدَ النَّفي.

(1) ابن عاشور، محمد الطَّاهر، التَّحرير والتَّنوير، 29/ 201.

(2) ابن فارس، أحمد بن زكريا، مقاييس اللغة، مادة (نصر).

(3) الفراهيدي، الخليل بن أحمد، العين، مادة (نصر).

(4) ينظر: ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، مادة (نصر).

(5) ابن فارس، أحمد بن زكريا، مقاييس اللغة، مادة (نصر).

(6) ينظر: السمعاني، منصور بن محمد، تفسير القرآن، تح: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، 6/ 60.

كثُرَ في سورةِ نوحٍ أسلوبُ القصرِ بالاستثناءِ بعد النَّفي؛ لما فيه من توكيدِ المعنى وحصرِه في جهةٍ واحدةٍ دون سواها، في سياقٍ يغلب عليه الإلحاحُ في الدعوة وتكرارُ الحُجّة. وقد جاء هذا الأسلوبُ ليُثبِّتَ المقصودَ في أذهان المخاطَبين بأقوى صيغ الحصر.

1. ومنه قوله جلَّ شأنه: ﴿ فَلَمۡ يَزِدۡهُمۡ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارٗا ﴾ [نوح: 6].

استثنى النَّظمُ الجليلُ الفرارَ في الآية، من عموم الزّيادات، وهُو استثناءٌ مُنقَطِعٌ، وتقديرُ الكلام: فلم يَزِدْهُم دُعائي قربًا مِن الهدى، لَكِنْ زادَهُم فرارًا[1]، وهذا يُبْرِزُ عدمَ تحقيقِ الدَّعوة لأثَرِ ما في نُفوسِ الكافرين، ويُبَيّن مَدى رَفْضِ القَوْمِ وإصرارهم على الابتعادِ.

2. قوله جلَّ شأنه:﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَن لَّمۡ يَزِدۡهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارٗا ﴾ [نوح: 21].

عبَّر النَّظم القرآنيُّ بأسلوب الاستثناءِ بـ ﴿إِلَّا﴾، في قوله جلَّ شأنه: ﴿ لَّمۡ يَزِدۡهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارٗا ﴾؛ للدَّلالة على أنَّ أموالَهُم وأولادَهُم لَم تَزِدْهُم شيئًا مِن الأشياءِ إلّا خسارًا؛ ببُعْدِهِم مِنَ الله تعالى في الدُّنيا والآخرة[2]، فلم ينتفعوا من نِعْمَةِ الله تعالى بأن يَستَعمِلوها في مَرْضاتِه ومعرفةِ آلائِهِ.

وفي جملةِ: ﴿ لَّمۡ يَزِدۡهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارٗا ﴾ قصرٌ بطريقِ النَّفي والاستثناءِ، وهو مِنْ قصر الموصوفِ على الصِّفةِ قصرًا إضافيًّا.

3. قوله سبحانه: ﴿ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلٗا ﴾ [نوح: 24].

جاءَ أسلوبُ الاستثناءِ بـــ ﴿إِلَّا﴾، وهي هنا دالَّةٌ على الحَصْر والقصْرِ، في قوله جلَّ شأنه: ﴿ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلٗا ﴾؛ وذلك لتأكيدِ الشَّيءِ بِما يُشْبِهُ ضدَّه، "أي: حُل بيننا وبينَ مَكْرِهِم، ولا تَزِدْهُم إمْهالًا في طغيانهم علينا إلّا أن تُضَلِّلَهُم عَن وسائلِه، أو أراد إبْهامَ طرقِ النَّفع عليهم؛ حتّى تَنْكَسِرَ شوكَتُهم، وتلينَ شَكيمَتُهم، نظير قولِ موسى عليه السَّلام: ﴿ رَبَّنَا ٱطۡمِسۡ عَلَىٰٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ وَٱشۡدُدۡ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُواْ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ

(1) ينظر: ابن عاشور، محمد الطَّاهر، التَّحرير والتَّنوير، 29/ 194.

(2) الخطيب الشربيني، محمد بن أحمد، السراج المنير، 4/ 393.

ٱلۡأَلِيمَ﴾ [يونس: 88][1] " .

4. قوله جلَّ شأنه:﴿ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرٗا كَفَّارٗا ﴾ [نوح: 27].

عُبِّر بأسلوبِ الاستثناء المفرَّغ هنا؛ للدَّلالة على حَصْرِ تَنْشِئَةِ مواليدِهِم على الكُفْر، وهذا يدلُّ على شدَّة تَمَسُّكِهِم بضَلالِهِم، فهُم يَتعاهَدون باطِلَهُم، ويَنْقلونَهُ إلى أَبنائِهِم .[2]

5. قوله جلَّ شأنه: ﴿ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارٗا ﴾ [نوح: 28].

عبَّر النَّظم الجليلُ بالاستثناءِ المفرَّغ هنا؛ للدَّلالة على طَلَبِ زِيادَتِهم هلاكًا وتدميرًا، "أي: لا تَزِد المتَّصفين بالظُّلم إلّا هلاكًا وخُسْرانًا ودَمارًا، فأُهْلِكوا، وغَرِقَ معَهُم صِبْيانُهُم أيضًا"[3].

السِّمةُ الخامسة: تجلّي ظاهرة الطِّباق.

برزت في السُّورة الكريمة ظاهرةُ الطِّباق بوضوحٍ، إذ تقابلت الألفاظ المتضادة لتجسيد معاني الهداية والضَّلال، والإيمان والكفر. وأسهم هذا التَّقابل في تقوية الدّلالة وإبراز البعد البياني في خطاب نوح عليه السلام بإيجاز مؤثّر.

ومثال ذلك ما ورد من طباق في قوله جلَّ شأنه:﴿ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعۡلَنتُ لَهُمۡ وَأَسۡرَرۡتُ لَهُمۡ إِسۡرَارٗا ﴾ [نوح: 9].

فقد جمعَ النَّظم الجليلُ بين لَفْظَي الإعلانِ والإسرار، في الآية الكريمة على طريقة الطِّباق، وذلك لإظهار تنوُّع أساليب الدَّعوة، فقد دعاهُم علنًا في المجالِسِ والمحافِل، وسرًّا في الخَلوات والمناجاةِ، بل وجمَعَ بين الطَّريقتَيْنِ معًا في أوقاتٍ مُخْتَلِفَةٍ، فما ترك وسيلةً في الدَّعوة إلّا سلَكَها، فهذا الطِّباقُ يُؤَكِّد أنَّ نوحًا عليه السَّلام لم يَدَعْ بابًا من أبواب التَّبليغ والدَّعوة إلّا سلكَهُ؛ حِرْصًا منهُ واجتهادًا على هِداية قومِه.

(1) ابن عاشور، محمد الطَّاهر، التَّحرير والتَّنوير: 29/ 211.

(2) ينظر: الخطيب الشربيني، محمد بن أحمد، السراج المنير، 29/ 214.

(3) القنّوجي، فتح البيان، 14/ 345.

كما جَمَعَ بين لَفْظَيِ الإغراق والنّار، في قوله جلَّ شـــأنه: ﴿ أُغۡرِقُواْ فَأُدۡخِلُواْ نَارٗا ﴾ [نوح: 25]، على طريقة الطِّباق؛ إذ بين النّارِ والغَرَقِ المشْعِرِ بالماءِ تضادٌّ، فهو تعبيرٌ غايَةٌ في البلاغة والحُسْنِ، فلمّا أُغرِقوا بالماءِ في الدُّنيا؛ أُحْرِقوا بالنّار في الآخرة، فجَمَعَ عليهم النَّقيضَيْنِ في عذابِهم في الدّارينِ. وفي تقرير الطِّباقِ مســلَكٌ آخَرُ، وهو إدخالُ النّارِ مســتلزِمٌ الإحراقَ، والإحراقُ مضادٌّ للإغراقِ (1).

ويأتي الطِّباق المعنوي الخفي في قوله: ﴿ أُغۡرِقُواْ فَأُدۡخِلُواْ نَارٗا ﴾ ليبين ســوء عاقبة قوم النبي نوح عليه الســلام الضــالين، ولعل مجيء الطرف الأول أُغْرِقُوا بصــيغة الماضــي المبني للمجهول والتي دخلت على الطرف الثاني في قوله: ﴿ فَأُدۡخِلُواْ نَارٗا ﴾ ما يؤكد ذلك العذاب المجهول، هل سيخلدون في النار جزاء تكذيبهم نبيهم؟

ولعل الخفاء في طرفي الطِّباق المعنوي يكمن في أنَّ الغرق لا يتطابق مع النَّار ولا يشكل تضادًا، إلَّا أنَّ ذلك الخفاء ينجلي عندما يكون الغرق من صفات الماء، وكأنَّ تلك الصِّفة أومأت إلى الموصوف الخفي الماء الذي يشكل طرف طباق مع النَّار وهي طرفه الثاني، قال ابن منقذ في شـــأن ذلك الطباق القرآني في الآية المباركة:"هي اخفى مطابقة في القرآن الكريم"(2).

"ولقد تواشج الطِّباق المعنوي الخفي الأوَّل مع الطِّباق المعنوي الثَّاني ذلك أنَّ قوم نوح أغرقوا بالطُّوفان في الدنيا عقابًا على ســـوء عملهم وواعدهم بإدخالهم النَّار في الآخرة التي جاءت بصيغة التَّنكير نارًا لتدل على عظمتها"(3).

كما برز الطِّباق جليًّا في آيات أُخر، إذ ورد بين تأخير الأجل وتركِ تأخيره، في قوله: ﴿ وَيُؤَخِّرۡكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُۚ ﴾ [نوح: 4]، وبين اللَّيل والنَّهار

(1) ينظر: ابن عاشور، محمد الطَّاهر، التَّحرير والتَّنوير، 29/ 212

(2) ابن منقذ، أسامة بن مرشد، البديع في نقد الشعر، ص: 36، وينظر: الزركشي، محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، 457/3.

(3) الجماس، نِعَم هاشم، الطباق في القرآن الكريم دراسة بلاغية، ص: 194.

في قوله: ﴿ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴾ [نوح: 5]. وبين الشَّمس والقمرِ في قوله: ﴿وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴾ [نوح: 16]. وبين الإعادة إلى الأرض والإخراج منها في قوله:﴿ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴾ [نوح: 18]، وبين العصيان والاتّباعِ في قوله تعالى: ﴿ قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَٱتَّبَعُوا۟ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا ﴾ [نوح: 21]، وغير ذلك.

السِّمة السَّادسة :تفرُّد السُّورة بأبنيَّة صرفيَّة لم تأتِ في سور أخرى غيرها.

تميَّزت السّورة الكريمة بأنَّها حوت ألفاظًا بأبنية صرفيَّةٍ لم تأتِ في غيرها من السّور، مثل:﴿وَٱسْتَغْشَوْا۟ ﴾ ، في قوله جلَّ شأنه: ﴿ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا ﴾ [نوح: 7].

أصلُ (غشي) أصلٌ يدلُّ على تَغْطِيَةِ شَيءٍ بِشَيءٍ، وَالغِشاءُ: الغِطاءُ[1]، وغَشِيَهُ غِشاوَةً وغِشاءً، أي: سترَهُ، والغِشاوَةُ: ما يُغطّى به الشَّيء، قال الله تعالى: ﴿ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً ﴾ [الجاثية: 23].

والاستغشاء في الأصل اشتمال من فوق، ولما كان فيه معنى السَّتر استعمل بمعناه، وأصل الاستغشاء طلب الغشي، أي: السَّتر، ولكن معنى الطَّلب هنا ليس بمقصود بل هو بمعنى التَّغطِّي والسَّتر، والمراد به هنا :المبالغة "في التَّغطِّي بثيابهم كأنَّهم طلبوا منها أن تغشاهم؛ لئلّا يبصروه كراهة النَّظر إليه"[2]، والمراد به في الآيةِ الكريمَةِ: "يُغَطّون وجوهَهُم ورُؤوسَهُم"[3].

نلحظ هنا أنَّ غشي ينطلق من معنى حسّي هو التغطية والستر المادي، ثمّ يتوسّع دلاليًا ليشمل الحجب المعنوي كغشاوة البصر، أي تعطيل الإدراك، ومنه "الاستغشاء" الذي انتقل من طلب التَّغطية إلى المبالغة في التَّستُّر والإعراض، فتتجلَّى حركة الدلالة من المحسوس

(1) ابن فارس، أحمد بن زكريا، مقاييس اللغة، مادة (غشى).
(2) الهرري، محمد الأمين، حدائق الروح والريحان، 249/30.
(3) القنوجي، محمد صديق خان، فتح البيان، 14/ 333.

إلى الذّهني في نسقٍ مُتدرّج.

لقد عبَّر البيانُ القرآنيُّ باستِغشاءِ الثّياب، في قوله جلَّ شأنه: ﴿ وَٱسۡتَغۡشَوۡاْ ثِيَابَهُمۡ ﴾ [نوح: 7]؛ لدلالَتِهِ على التَّغطيةِ، أي: "تَغَطّوا بثيابهم"(1)، وجاء التَّعبير بصيغة الاستِفعالِ؛ للدَّلالة على الطَّلبِ قصدًا إلى المبالغَة (2)، فهو يُظْهِرُ مبالغَتَهُم في تغطيةِ رُؤوسِهم بحيثُ إنَّهم يَطْلُبون ذلك، ويَسعَونَ إليهِ حتّى لا يَراهُم، فيدعوهُم، أو لئلّا يَرَوْنَه؛ لكراهَتِهِم إيّاهُ وكراهَتِهِم كلامَهُ (3).

والتَّعبيرُ باستغشاءِ الثّيابِ هنا كنايَةٌ عَن شدَّة إعراضِهِم عَن سماعِ الدَّعْوَةِ. ويجوز أن يُرادَ بهِ الكنايَةُ عَن العداوةِ، كما يُقال: لَبِسَ فلانٌ ثيابَ العَداوة (4)، فهو تعبيرٌ عَن كراهَتِهِم للدَّعوة والدّاعي وشدَّة إعْراضِهِم عَنْهُ، ويجوز أن يكونَ استِغشاءُ الثِّياب –فضلًا عن جَعْلِ الأصابع في الآذان– هَهُنا حقيقةً، بِوَصْفِها عادةً "مِن عاداتِ قوم نوحٍ؛ إذا أرادَ أحَدٌ أن يُظْهِرَ كراهِيةً لكلامِ مَن يتكلَّم معَهُ"(5).

1. ﴿ وَأَصَرُّواْ ﴾ ، في قوله جلَّ شأنه: ﴿ وَأَصَرُّواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ ٱسۡتِكۡبَارٗا ﴾ [نوح: 7].

أصل (صرر) أصله يدلُّ على تضامٍّ والتِئامٍ، أو تداخلٍ شديدٍ(6)، تقول: أَصرَرْتُ على الشَّيء؛ إذا أَقمتَ، ودُمْتَ عليه، ومنه قوله: ﴿ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴾ [آل عمران: 135]، ويُطْلَقُ على العَزْمِ والتَصْميمِ، من قَوْلِهِم: أَصَرَّ عَلى فِعْلِهِ؛ إذا عَزَم عَلى

(1) النسفي، عمر بن محمد، التيسير في التفسير: 24/15.

(2) ينظر: البيضاوي، عبد الله بن عمر الشيرازي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، 5/ 248.

(3) ينظر: أبو السعود، محمد بن محمد العمادي، إرشاد العقل السليم، 9/ 37.

(4) ينظر: الهرري، محمد الأمين، حدائق الروح والريحان، 30/ 249.

(5) ابن عاشور، محمد الطَّاهر، التَّحرير والتَّنوير، 29/ 195- 196.

(6)جبل، محمد حسن حسن، المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم (مؤصَّل ببيان العلاقات بين ألفاظ القرآن الكريم بأصواتها وبين معانيها)، مادة (صرر/ صرصر).

أَن يَمْضِيَ فيهِ، وَلا يرجِع[1]، وأكثَرُ ما يُستعمَلُ في الشَّرِّ والذُّنوبِ والآثامِ، يُقالُ: أَصَرَّ على الذَّنْبِ، يُصرُّ، إصرارًا، فهو مُصِرٌّ: إذا لم يُقلِعْ عنه، والإِصرارُ في الآية مراد به: "تحقيقُ العَزْمِ على فِعْلٍ"[2]، أو: المقامُ على الذَّنْب وعدمُ الانفكاكِ عنه.

ينطلق (صرر) من أصلٍ حسِّي يدلُّ على التَّضامِّ والالتئام الشَّديد، ثمَّ ينتقل دلاليًا إلى معنى الملازمة والثَّبات، فصار "الإصرار" يدلُّ على دوام الفِعل وعدم الانفكاك عنه، وتطوَّر إلى معنى العَزْم والتَّصميم، وغلب استعماله في الشَّرِّ والذُّنوب للدلالة على الاستمرار فيها مع العِلْم، فتتدرَّج دلالته من التَّماسك الحسيّ إلى الثَّبات المعنويّ ثمَّ إلى البُعْد السُّلوكيّ الأخلاقيّ.

عبَّر النَّظم الجليلُ بالإصرار هنا؛ لدلالة الإصرار على التَّعقُّد في الذَّنب والتَّشدُّد فيه، وتحقيق العزْم على فِعْلِه "والامتناعِ مِنَ الإقلاعِ عَنْهُ"[3]، أي: إنَّهم أصرّوا على شِرْكِهم وكُفْرِهم، وعلى إعْراضِهِم عن سماعِ دعوةِ الحَقِّ[4]، وطاوَعوا أَنفُسَهُم الأمّارة بالسّوء في إصرارهم[5].

2. ﴿ أَطْوَارًا ﴾ ، في قوله جلَّ شأنه:﴿ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴾ [نوح: 14].

طور أصلٌ "يدلُّ على الامتدادِ في شيءٍ مِن مكانٍ أو زمان"[6]، والطَّوْر: التّارةُ، يُقال: طَوْرًا بَعْدَ طَوْر، أي: تارةً بعد تارةٍ، والنّاسُ أطوارٌ، أي: أَصْنافٌ، على حالاتٍ شَتَّى، "والمرْءُ يُخلَقُ طَورًا بعد أَطوارٍ"[7]، والمراد به في الآية الكريمة: شيئًا بعد شيءٍ، ومُختَلِفين على حالاتٍ

(1) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، مادة (صرر).

(2) ابن عاشور، محمد الطَّاهر، التَّحرير والتَّنوير، 196/29.

(3) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، مادة (صر)، وابن عاشور، محمد الطَّاهر، التَّحرير والتَّنوير، 29/ 196.

(4) ينظر: الرازيُّ، محمَّد بن عُمر، التَّفسير الكبير، 30/ 651.

(5) مَجْمَع الشَّارقة، موسوعة التَّفسير البلاغي، سورة نوح، آية: 23.

(6) ابن فارس، أحمد بن زكريا، مقاييس اللغة، مادة (طور).

(7) الفراهيدي، الخليل بن أحمد، العين، مادة (طور).

شَتّى [1].

من الملاحظ أنَّ طور ينطلق من الامتداد الحسيّ، ثمَّ يتطوَّر إلى معنى التَّعاقب والتَّدرُّج طورًا بعد طورٍ، ومنه إلى اختلاف الأحوال والأصناف، فتصبح دلالته قائمة على التَّحوُّل المرحليّ والتَّغيُّر المتتابع.

لقد عبَّر البيانُ القرآنِيُّ بالأطوار، في قوله جلَّ شأنه: ﴿ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴾، بمعنى: أنَّه خلقَكُم تارةً بعد تارةٍ، وهُوَ إشارةٌ إلى مضمونِ قوله تعالى: ﴿ خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ ﴾ [الحج: 5][2]، فالطَّور هو التّارةُ، وهي المرَّة مِنَ الأفعالِ أو الزَّمان، فهو تعبيرٌ عمّا يَحْصُل في المرّات والأزمانِ مِن أحوالٍ مختلِفَةٍ في خَلْقِ الإنسانِ[3]، أي: إنَّكم تَعْلَمون أنَّ الله تعالى قد خَلَقَكُم، وقَدَّرَكُم حالًا بعد حالٍ، عناصرَ ثمَّ أخلاطًا ثُمَّ نطفةً ثُمَّ علقَّة ثمَّ مضغَة، ثمَّ عظامًا ولحومًا، ثُمَّ جَعَلكم خلقًا آخر، وجاء التَّعبيرُ بصيغَةِ الجَمْعِ والتَّنكيرِ؛ للدَّلالة على اختلافِ الأطوار وتنوُّعها وكثرتِها، فَهُم في صفاتٍ مُتَباينَة وحالاتٍ مختَلِفَةٍ[4].

وفي وَصْفِ كونِ خَلْقِهِم أطوارًا تعريضٌ بكُفْرِهِم النِّعمةَ؛ لأنَّ الأطوار التي يعلمونَها دالَّةٌ على رِفْقِه سُبحانَهُ بهِم في ذلكَ التَّطوُّر، ودالَّةٌ على حكمَةِ الخالقِ وعِلْمِه وقُدْرَته، فإنَّ في بقاءِ الذّات واحدةً على الرُّغم من تطوُّر الخلقِ مِن طَور النُّطفة إلى طورِ الشَّيخوخة ثُمَّ الموْتِ ثُمَّ فناء الأجساد بعدَ الموتِ؛ لَدليلًا على كمالِ الخالقِ في الخلقِ والتَّبديل في الأطوار، "وهُم يُدْرِكون ذلك بأَدْنى التِفاتِ الذِّهن، فكانوا مَحْقوقين، بأنْ يَتَوَصَّلوا به إلى معرفةِ عظمَةِ اللهِ تَعالى وتوقُّع عقابه؛ لأنَّ الدَّلالة على ذلكَ قائِمَةٌ بأَنفُسِهِم"[5].

(1) ينظر: الواحدي، علي بن أحمد، التفسير البسيط، 22/ 257.
(2) ينظر: الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، مادة (طور).
(3) ينظر: ابن عاشور، محمد الطَّاهر، التَّحرير والتَّنوير، 29/ 201.
(4) ينظر: الهرري، محمد الأمين، حدائق الروح والريحان، 30/ 254- 255.
(5) ابن عاشور، محمد الطَّاهر، التَّحرير والتَّنوير، 29/ 201.

3. ﴿ كُبَّارًا ﴾ ، في قوله جلَّ شأنه:﴿ وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا كُبَّارٗا ﴾ [نوح: 22]

(كبر) أصلٌ "يدلُّ على خِلاف الصِّغر"(1)، "وكَبُرَ -بالضَّمِّ- يَكْبُرُ، أي: عَظُمَ، فهو كَبيرٌ وكُبارٌ، فإذا أفرط، قيل: كُبَّارٌ، والكِبر: العظمةُ، وكذلك الكبرياء"(2)، والكُبَارُ أبلغُ من الكبيرِ، والكُبّارُ أبلغُ مِن ذلك، فـــ﴿ كُبَّارًا ﴾ هنا مُبالغَةٌ، أي: كبيرًا جِدًّا، وهو واردٌ بهذه الصِّـــيغة في ألفاظٍ قليلةٍ مِثلَ طُوَّالٍ، أي: طويلٌ جِدًّا، وعُجَّابٍ، أي: عَجِيبٌ، وحُسَّـــانٍ، وجُمَّالٍ، أي جَميلٌ، وقُرَّاءٍ لكثيرِ القِراءة، ووُضَّاءٍ، أي: وضيءٌ، قال عيسى بنُ عُمَرٍ: هي لُغَةٌ يمانيَّةٌ (3).

ينطلق (كبر) من معنى حسِّي هو العِظَم في مُقابل الصِّغر، ثمَّ يتوسَّع دلاليًّا إلى معاني العظمة والكبرياء، وتُستعمل صِيَغه للمبالغة في الشدّة كـــ"كُبَّار"، فتنتقل دلالته من الحجم المحسوس إلى التَّعظيم المعنويّ مع توكيده بصيغٍ صرفيَّة دالَّة على الإفراط.

جاءَ التَّعبيرُ بلفظ ﴿ كُبَّارًا ﴾ ، في قولهِ جلَّ شـأنه: :﴿ وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا كُبَّارٗا ﴾ ؛ لدلالَتِهِ على العِظم، فهو كَبيرٌ وكُبارٌ، فإذا أفرط؛ قيل: كُبَّارٌ (4)، فعبَّر بذلك للدَّلالة على عِظَم المِكْرِ وهَوْلِه، وهو صيغَةُ مُبالَغَةٍ مِنَ الكبيرِ (5)، وإنَّما كانَ مَكْرُهُم شديدَ الكِبَرِ؛ لأنَّهم لما صدّوا قومَهُم عن التَّوحيدِ الذي هو أعظَمُ المراتِبِ؛ كان جُرْمُهُم بالمَنْعِ منهُ أعظَمَ الكبائرِ، فلهذا وصفَهُ اللهُ تَعالى بأنَّه كُبّار (6) .

وكذلك الحال: ﴿ جِهَارًا ﴾ [نوح: 8]، و﴿ وَأَسۡرَرۡتُ لَهُمۡ إِسۡرَارٗا ﴾ [نوح: 9]، و﴿ وَقَارٗا ﴾ [نوح: 13]، ﴿بِسَاطٗا﴾ [نوح: 19] ،و﴿ تَذَرُنَّ ﴾ [نوح: 23]، و﴿تَبَارٗا

(1) ابن فارس، أحمد بن زكريا، مقاييس اللغة، مادة (كبر).
(2) الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصّحاح، مادة (كبر).
(3) ينظر: ابن عاشور، محمد الطَّاهر، التَّحرير والتَّنوير، 207/29.
(4) الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصّحاح، مادة (كبر).
(5) ينظر: الواحدي، علي بن أحمد، التفسير البسيط، 22/ 263.
(6) ينظر: الرازيُّ، محمَّد بن عُمر، التَّفسير الكبير، 30/ 656.

﴾ [نوح: 2]. وغير ذلك. وقد تناولنا معانيها ودلالتها في السِّياق في ثنايا البحث.

السِّمة السَّابعة: تفردت السورة بألفاظ من حيث مادتها وبناؤها الصَّرفي.

امتازَتِ السّـــورة نوح، بأنَّها حوت ألفاظًا فريدة في مادَّتها وبنائها الصَّـــرفيّ، وذلك في أسماءِ آلهةِ قومِ نوحٍ:﴿ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾ [نوح: 23]

﴿ وَدًّا ﴾ ، و﴿ سُوَاعًا ﴾ ، و﴿ يَغُوثَ ﴾ ، و﴿ وَيَعُوقَ ﴾ ، و﴿ وَنَسْرًا ﴾ :

هذه أسماءُ أصنام عبدها قوم نبي الله نوح-عليه السَّلام-، وهي أسماءُ رجالٍ صالحين كانوا بينَ آدمَ ونوحٍ عليهما السَّـلام، فلمّا ماتوا؛ جَعلوا لهم صـورًا؛ ليقتدوا بهم في العبادة، ثُمَّ نشـأ قوم بعدهم، فقال لهم إبليسُ: إنَّ الذين مَن قبلَكُم كانوا يعبدونَهُم، فبدأت عبادةُ الأصـــنام، ثُمَّ انتقلت هذه الأوثانُ إلى العرَبِ، فودٌّ كانت لكَلْبٍ بدومَةِ الجَنْدَل، وسُواع لهُذَيْلٍ، ويغوثُ لمرادٍ ثُمَّ لبني غطيفٍ بالجُرْف، ويعوقُ لِهَمْدانَ، ونَسْرٌ لحِمْيَرٍ[1].

وخُصَّ الأصنامُ المذكورَةُ دون سِواها بالذِّكر، في قوله جلَّ شأنه: ﴿ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾ ، بعد أن ذُكِرَتِ الآلهةُ على العمومِ في قوله: ﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ﴾ [نوح: 23 ؛ وذلك للتَّنْويه بها؛ لأنَّها أكبَرُ أصـــنامِهِم وأَعْظَمُها عندَهُم[2]، فضـلًا عن أنَّ في تخصيصِـها زيادةً في الحثِّ على التَّمسُّـك بها، وتصـريحًا بالمقصـودِ مِن ذِكْرِ الآلهةِ[3].

ومن الملاحظ أنَّ النَّظم الجليل قد كرَّر حرفَ النَّفي مع بعض أسماء الآلهةِ دون بعضِها، في قوله جلَّ شـــأنه: ﴿ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾؛ لأنَّ فائدة التَّكرار تأكيدُ النَّفي والمبالغةُ فيه، وأنَّ النَّفْيَ يشمَلُ كلَّ واحد منهُم فردًا فَرْدًا لا عن المجْموع،

(1) ينظر: الخازن، أبو الحسن الشيحي، لباب التأويل، 4/ 346.

(2) ينظر: النَّسفي، عبد الله بن أحمد، مدارك التنزيل، 3/ 545.

(3) ينظر: البقاعي، بُرهان الدِّين، نظم الدُّرَر، 20/ 449.

ولَمَ يُكَرَّر النَّفي مع آخِر اسمَينِ؛ لأنَّ التَّأكيد بلَغَ غايَتَهُ، فلَم يُحْوِج إلى تكرارِه [1]، فإنَّ بناءَ الكلام جارٍ على أنَّ التَّأكيد لا يُزاد فيه أكثر مِن ثلاث مرّاتٍ في التَّكرار [2].

السِّمة الثَّامنة: تفرَّدَت السُّورة بأنساق تعبيريَّة لم تَرِد في غيرها.

اشتملَتِ السّورةُ الكريمة على أنساقٍ تعبيريَّةٍ لم تتكرَّر في غيرها، حتّى يكاد تكون كلُّ أنساقها كذلك. مِنْها قوله جلَّ شأنه:﴿ وَٱسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّواْ ﴾ [نوح: 7]، و﴿ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴾ [نوح: 8]، و﴿ ٱلْيَوْمَ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴾ [نوح: 9]، و﴿ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ۝٤٢ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ﴾ [نوح: 13]، و﴿ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ ﴾ [نوح: 14] ، ﴿ يَٰقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ [نوح: 19] ، و﴿ جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ ﴾ [نوح: ٢٢]، و﴿ لَا تَذَرُنَّ ﴾ [نوح: 23]. و﴿ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴾ [نوح: 28]، وغير ذلك.

وخلاصة ذلك: أنَّ هذه الأنساق تكشف عن بناءٍ حِجاجيٍّ مُتدرّج ومُكثَّف، يجمع بين تنويع وسائل الدَّعوة، وتصعيد تصوير العِناد، واستحضار دلائل القُدْرة الإلهيَّة؛ وبذلك تتكامل السُّورة في إبراز قوَّة الحُجَّة القرآنيَّة عبر تفاعل العقل والعاطفة والوجدان في نسقٍ واحدٍ مُتماسكٍ شديد الإحكام، والله تعالى أعلم.

أبرز نتائج البحث والتَّوصيات:

1. **الإعجاز البياني المُنهج:** تُمثِّل سورة نوح نموذجًا لبناء أسلوبي مُحكَم، تتناغم فيه الاختيارات اللَّفظية والتَّراكيب النَّحوية والصَّرفية مع المقاصد الدّلالية للسُّورة.
2. **الوظيفيَّة الأسلوبيَّة:** لم تكن الظواهر الأسلوبية في السورة سماتٍ شكلية، بل أدت وظائف بلاغية لتصوير الصراع النفسي والعقدي بين دعوة الحق وجحود المكذبين.

(1) ينظر: البقاعي، بُرهان الدِّين، نظم الدُّرَر، 20/ 449، والهرري، محمد الأمين، حدائق الروح والريحان، 30/ 261.

(2) ينظر: ابن عاشور، محمد الطَّاهر، التَّحرير والتَّنوير، 29/ 209- 210.

3. **التّكرار اللَّفظي الهادف**: أسهم تكرار ألفاظ محورية مثل (وذر، وزاد، وغفر) في ترسيخ المعاني الكبرى للسورة؛ المتمثلة في الإصرار على الشرك مقابل سعة المغفرة الإلهية.
4. **الدقة الصرفية**: جاء تنوع الأبنية والمشتقات الصرفية خاضعاً لمقتضى السياق، لإبراز الفروق الدلالية الدقيقة وتوسيع آفاق المعنى.
5. **التَّمكين البلاغي بالمفعول المطلق**: أدى توظيف المفعول المطلق في مواضع متعددة (مثل: استكبارًا، إسرارًا، مكرًا) وظيفةً بيانيةً مركزية في توكيد الأحداث، وتقوية معانيها، والإيحاء بشدتها وعظمتها.
6. **ماهية البلاغة القرآنيَّة**: أثبت البحث أنَّ البلاغة في النَّص القرآني هي جوهر التَّعبير وروحه وليست مجرد حِلية أو زينة لفظيَّة، وأن تدبُّرها هو السَّبيل الأوحد لتذوق الإعجاز.
7. **قيمة مرجعيَّة**: أظهرت الدِّراسة الأهميَّة العلميَّة الفائقة لـ "**موسوعة التَّفسير البلاغي**" (بأجزائها الـ 68) كمرجع أصيل ومُستوعب للباحثين في هذا الحقل الأكاديمي.

المصادر والمراجع

الآلوسي، شهاب الدين السيد محمود البغدادي، (1415هـ-1995م)، *روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني*، ضبطه وصححه: علي عبد الباري عطية، لبنان: بيروت: دار الكتب العلمية.

الأنصاري، أبو زيد، (1401 هـ-1981م)، *النَّوادر في اللغة*، تح: د. محمد عبد القادر أحمد، دار الشروق.

البقاعي، إبراهيم بن عمر، (1404هـ- 1984م)، *نظم الدرر في تناسب الآيات والسور*، تحت مراقبة: د محمد عبد المعيد خان أستاذ آداب اللغة العربية بالجامعة العثمانية، ومدير دائرة المعارف العثمانية، (ثم صورتها دار الكتاب الإسلامي – القاهرة.

البيضاوي، عبد الله بن عمر، (1418هـ)، *أنوار التنزيل وأسرار التأويل*، تح: محمد عبد الرحمن المرعشلي، لبنان، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

ابن جزي الغرناطي، محمد بن أحمد، (1416هـ)، *التَّسهيل لعلوم التنزيل*، تح: الدكتور عبد الله الخالدي، لبنان، بيروت: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم.

أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف، (1420-2000م)، *البحر المحيط*، بعناية: صدقي محمد جميل العطار، وآخرين، لبنان، بيروت: دار الفكر.

جبل، محمد حسن حسن، (2010م)، *المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم (مؤصَّل ببيان العلاقات بين ألفاظ القرآن الكريم بأصواتها وبين معانيها)*، مصر، القاهرة: مكتبة الآداب.

الجَمَّاس، نِعَم هاشم، (1423هـ- 2003م)، الطباق في القرآن الكريم دراسة بلاغية، *رسالة ماجستير*/جامعة الموصل.

الجوهري، إسماعيل بن حماد، (1407هـ-1987م)، *الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية*، تح: أحمد عبد الغفور عطار، لبنان، بيروت: دار العلم للملايين.

الخازن، علي بن محمد، (1415هـ)، *لباب التأويل في معاني التنزيل*، تصحيح: محمد علي شاهين، لبنان، بيروت: دار الكتب العلمية.

الخطيب الشربيني، شمس الدين محمد بن أحمد، (1285هـ)، *السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير*، مصر، القاهرة: مطبعة بولاق (الأميرية).

الدرة، محمد علي، (1430هـ-2009م)، *تفسير القرآن الكريم وإعرابه*، سورية، دمشق، دار ابن كثير.

ابن دريد، محمد بن الحسن، (1987م)، *جمهرة اللّغة*، تح: رمزي منير بعلبكي، لبنان، بيروت: دار العلم للملايين.

الرازي، فخر الدين محمد بن عمر، (1420هـ)، *مفاتيح الغيب = التفسير الكبير*، لبنان، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد، (1412هـ)، *المفردات في غريب القرآن*، تح: صفوان عدنان الداودي، دمشق بيروت، دار القلم، الدار الشامية.

الزبيدي، محمّد مرتضـــى، (1422هـ-2001م)، *تاج العروس من جواهر القاموس*، تح: جماعة من المختصـــين، الكويت، وزارة الإرشـــاد والأنباء في الكويت- المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

أبو السُّـعود العمادي، محمد بن محمد، *إرشـاد العقل السـليم إلى مزايا الكتاب الكريم*، لبنان، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

ابن السّـكّيت، يعقوب بن إسـحاق، (1998م)، *الألفاظ*، تح: د. فخر الدين قباوة، لبنان: مكتبة ناشرون.

السمعاني، منصور بن محمد، (1418هـ-1997م)، *تفسير السمعاني*، تح: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، السعودية، الرياض: دار الوطن.

السـمين الحلبي، أحمد بن يوسـف، (1417هـ-1996م)، *عمدة الحفاظ في تفسـير أشـرف الألفاظ*، تح: محمد باسل عيون السود، بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن سِـــيدَه، علي بن إسماعيل، (1421هـ/2000م)، *المحكم والمحيط الأعظم*، تح: عبد الحميد هنداوي، لبنان، بيروت: دار الكتب العلمية.

السيوطي، جلال الدين، عبد الرحمن بن أبي بكر، (1424هـــ-2004م)، *معجم مقاليد العلوم في الحدود والرســـوم*، تح: أ. د محمد إبراهيم عبادة، القاهرة، مصـــر: مكتبة الآداب.

الشـــريف الجرجاني، علي بن محمد، (1403هـ-1983م)، كتاب التَّعريفات، ضـــبطه وصحَّحه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، لبنان، بيروت: دار الكتب العلمية.

الشَّـــوكاني، محمَّد بن علي، (1414هـ)، *فتح القدير*، دمشـــق، بيروت: دار ابن كثير، دار الكلم الطَّيِّب.

طنطاوي، محمد سيد، (1998م)، *التفسير الوسيط للقرآن الكريم*، القاهرة: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة.

ابن عاشـور، محمد الطَّاهر، (1984م)، *التَّحرير والتَّنوير= تحرير المعنى السـديد وتنوير العقل*

الجديد من تفسير الكتاب المجيد، تونس: الدار التونسية للنشر.

ابن عُثيمين، محمد بن صالح، (1424هـ)، *القول المفيد على كتاب التوحيد*، المملكة العربية السعودية: دار ابن الجوزي.

ابن عرَفة، محمد بن محمد، (2008م)، *تفسير ابن عرفة*، تح: جلال السّيوطي، لبنان، بيروت: دار الكتب العلمية.

العسكري، الحسن بن عبد الله، *جمهرة الأمثال*، بيروت: دار الفكر.

ابن عطيَّة، عبد الحق بن غالب، (1422هـ)، *المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز*، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، لبنان، بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن فارس، أحمد بن فارس، (1392هـ- 1972م)، *مقاييس اللغة*، تح: عبد السَّلام محمد هارون، مصر: شركه مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده.

الفراهيدي، الخليل بن أحمد، (1408هـ)، *العين*، تح: الدّكتور مهدي المخزوميّ والدّكتور إبراهيم السّامرّائي، بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.

القِنَّوجي، محمد صديق خان، (1412هـ- 1992م)، *فتحُ البيان في مقاصد القرآن*، عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: خادم العلم عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، صيدا، بيروت: المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر.

الماوردي، علي بن محمد، *النُّكت والعيون*، تح: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، لبنان، بيروت: دار الكتب العلمية.

المراغي، أحمد بن مصطفى، (1365هـ-1946م)، *تفسير المراغي*، مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده.

ابن منظور، محمد بن مكرم، (1414هـ)، *لسان العرب*، الحواشي لليازجي وجماعة من اللغويين، بيروت: دار صادر.

ابن منقذ، أسامة بن مرشد، *البديع في نقد الشعر*، تح: الدكتور أحمد أحمد بدوي، والدكتور حامد عبد المجيد، الجمهورية العربية المتحدة: وزارة الثقافة والإرشاد القومي.

الناشـــر، محمد الهلال، (1443هـ-2022م)، *تفســـير القرآن الثري (الجامع في الإعجاز البياني واللغوي والعلمي)*، سورية، دمشق: دار المعراج، ودار جوامع الكلم.

نُخبة من علماء مجمع القرآن الكريم بالشَّـــارقة، (2026م)، *موســـوعة التفســـير البلاغي في القرآن الكريم*، الإمارات، الشارقة: منشورات القاسمي.

النّســـفي، عبد الله بن أحمد، (1419هـ- 1998م)، *مدارك التنزيل وحقائق التأويل*، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، لبنان، بيروت: دار الكلم الطيب.

الهرري، محمد الأمين بن عبد الله الأرمي، (1421هـ-2001م)، *تفســـير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن*، إشراف ومراجعة: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي، لبنان، بيروت: دار طوق النجاة.

الواحدي، علي بن أحمد، (1430هـ)، *التفســـير البســـيط*، عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

References:

al-Ālūsī, Shihāb al-Dīn al-Sayyid Maḥmūd al-Baghdādī, (1415h-1995m), Rūḥ al-maʻānī fī tafsīr al-Qur'ān al-ʻAẓīm wa-al-Sabʻ al-mathānī, ḍabaṭahu wa-ṣaḥḥaḥahu : ʻAlī ʻAbd al-Bārī ʻAṭīyah, Lubnān : Bayrūt : Dār al-Kutub al-ʻIlmīyah. (in Arabic)

al-Anṣārī, Abū Zayd, (1401 h-1981m), alnnawādr fī al-lughah, tḥ : D. Muḥammad ʻAbd al-Qādir Aḥmad, Dār al-Shurūq. (in Arabic)

al-Biqāʻī, Ibrāhīm ibn ʻUmar, (1404h-1984m), naẓm al-Durar fī tanāsub al-āyāt wa-al-suwar, taḥta Murāqabat : D Muḥammad ʻAbd al-muʻīd Khān ustādh ādāb al-lughah al-ʻArabīyah bi-al-Jāmiʻah al-ʻUthmānīyah, wa-mudīr Dā'irat al-Maʻārif al-ʻUthmānīyah, (thumma ṣūratuhā Dār al-Kitāb al-Islāmī – al-Qāhirah. (in Arabic)

al-Bayḍāwī, ʻAbd Allāh ibn ʻUmar, (1418h), Anwār al-

tanzīl wa-asrār al-ta'wīl, tḥ : Muḥammad 'Abd al-Raḥmān al-Mar'ashlī, Lubnān, Bayrūt : Dār Iḥyā' al-Turāth al-'Arabī. (in Arabic)

Ibn Juzayy al-Gharnāṭī, Muḥammad ibn Aḥmad, (1416h), alttashyl li-'Ulūm al-tanzīl, tḥ : al-Duktūr 'Abd Allāh al-Khālidī, Lubnān, Bayrūt : Sharikat Dār al-Arqam ibn Abī al-Arqam. (in Arabic)

Abū Ḥayyān al-Andalusī, Muḥammad ibn Yūsuf, (1420-2000m), al-Baḥr al-muḥīṭ, bi-'ināyat : Ṣidqī Muḥammad Jamīl al-'Aṭṭār, wa-ākharīn, Lubnān, Bayrūt : Dār al-Fikr. (in Arabic)

Jabal, Muḥammad Ḥasan Ḥasan, (2010m), al-Mu'jam al-ishtiqāqī al-mu'aṣṣal li-alfāẓ al-Qur'ān al-Karīm (m'ṣṣal bi-bayān al-'Alāqāt bayna alfāẓ al-Qur'ān al-Karīm bi-aṣwātihā wa-bayna ma'ānīhā), Miṣr, al-Qāhirah : Maktabat al-Ādāb. (in Arabic)

Aljammās, ni'am Hāshim, (1423h-2003m), alṭbāq fī al-Qur'ān al-Karīm dirāsah balāghīyah, Risālat mājistīr / Jāmi'at al-Mawṣil. (in Arabic)

al-Jawharī, Ismā'īl ibn Ḥammād, (1407h-1987m), al-ṣiḥāḥ Tāj al-lughah wa-ṣiḥāḥ al-'Arabīyah, tḥ : Aḥmad 'Abd al-Ghafūr 'Aṭṭār, Lubnān, Bayrūt : Dār al-'Ilm lil-Malāyīn. (in Arabic)

al-Khāzin, 'Alī ibn Muḥammad, (1415h), Lubāb al-ta'wīl fī ma'ānī al-tanzīl, taṣḥīḥ : Muḥammad 'Alī Shāhīn, Lubnān, Bayrūt : Dār al-Kutub al-'Ilmīyah. (in Arabic)

al-Khaṭīb al-Shirbīnī, Shams al-Dīn Muḥammad ibn Aḥmad, (1285h), al-Sarrāj al-munīr fī al-i'ānah 'alá ma'rifat ba'ḍ ma'ānī kalām Rabbinā al-Ḥakīm al-khabīr, Miṣr, al-Qāhirah : Maṭba'at Būlāq (al-Amīrīyah). (in Arabic)

al-Durrah, Muḥammad 'Alī, (1430h-2009m), tafsīr al-Qur'ān al-Karīm wa-i'rābuh, Sūrīyah, Dimashq, Dār Ibn Kathīr. (in

Arabic)
Ibn Durayd, Muḥammad ibn al-Ḥasan, (1987m), Jamharat alllghh, tḥ : Ramzī Munīr Ba‘labakkī, Lubnān, Bayrūt : Dār al-‘Ilm lil-Malāyīn. (in Arabic)
al-Rāzī, Fakhr al-Dīn Muḥammad ibn ‘Umar, (1420h), Mafātīḥ al-ghayb = al-tafsīr al-kabīr, Lubnān, Bayrūt : Dār Iḥyā’ al-Turāth al-‘Arabī. (in Arabic)
al-Rāghib al-Aṣfahānī, al-Ḥusayn ibn Muḥammad, (1412h), al-Mufradāt fī Gharīb al-Qur’ān, tḥ : Ṣafwān ‘Adnān al-Dāwūdī, Dimashq Bayrūt, Dār al-Qalam, al-Dār al-Shāmīyah. (in Arabic)
al-Zubaydī, Muḥammad Murtaḍá, (1422h-2001m), Tāj al-‘arūs min Jawāhir al-Qāmūs, tḥ : Jamā‘at min al-mukhtaṣṣīn, al-Kuwayt, Wizārat al-Irshād wa-al-Anbā’ fī alkwyt-al-Majlis al-Waṭanī lil-Thaqāfah wa-al-Funūn wa-al-Ādāb. (in Arabic)
Abū alssu‘wd al-‘Imādī, Muḥammad ibn Muḥammad, Irshād al-‘aql al-salīm ilá mazāyā al-Kitāb al-Karīm, Lubnān, Bayrūt : Dār Iḥyā’ al-Turāth al-‘Arabī. (in Arabic)
Ibn alsskkīt, Ya‘qūb ibn Isḥāq, (1998M), al-alfāẓ, tḥ : D. Fakhr al-Dīn Qabāwah, Lubnān : Maktabat Nāshirūn. (in Arabic)
al-Sam‘ānī, Manṣūr ibn Muḥammad, (1418h-1997m), tafsīr al-Sam‘ānī, tḥ : Yāsir ibn Ibrāhīm wghnym ibn ‘Abbās ibn Ghunaym, al-Sa‘ūdīyah, al-Riyāḍ : Dār al-waṭan. (in Arabic)
al-Samīn al-Ḥalabī, Aḥmad ibn Yūsuf, (1417h-1996m), ‘Umdat al-ḥuffāẓ fī tafsīr Ashraf al-alfāẓ, tḥ : Muḥammad Bāsil ‘Uyūn al-Sūd, Bayrūt : Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah. (in Arabic)
Ibn sīdah, ‘Alī ibn Ismā‘īl, (1421h / 2000M), al-Muḥkam wa-al-Muḥīṭ al-A‘ẓam, tḥ : ‘Abd al-Ḥamīd Hindāwī, Lubnān, Bayrūt : Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah. (in Arabic)

al-Suyūṭī, Jalāl al-Dīn, ʻAbd al-Raḥmān ibn Abī Bakr, (1424h-2004m), Muʻjam maqālīd al-ʻUlūm fī al-ḥudūd wa-al-rusūm, th : U. D Muḥammad Ibrāhīm ʻUbādah, al-Qāhirah, Miṣr : Maktabat al-Ādāb. (in Arabic)

al-Sharīf al-Jurjānī, ʻAlī ibn Muḥammad, (1403h-1983m), Kitāb altaʻryfāt, ḍabaṭahu wṣḥḥaḥh Jamāʻat min al-ʻulamā' bi-ishrāf al-Nāshir, Lubnān, Bayrūt : Dār al-Kutub al-ʻIlmīyah. (in Arabic)

Alshshawkāny, mḥmmad ibn ʻAlī, (1414h), Fatḥ al-qadīr, Dimashq, Bayrūt : Dār Ibn Kathīr, Dār al-Kalim alṭṭayyib. (in Arabic)

Ṭanṭāwī, Muḥammad Sayyid, (1998M), al-tafsīr al-Wasīṭ lil-Qur'ān al-Karīm, al-Qāhirah : Dār Nahḍat Miṣr lil-Ṭibāʻah wa-al-Nashr wa-al-Tawzīʻ, al-Fajjālah. (in Arabic)

Ibn ʻĀshūr, Muḥammad alṭṭāhr, (1984m), alttaḥryr wālttanwyr= taḥrīr al-maʻná al-sadīd wa-tanwīr al-ʻaql al-jadīd min tafsīr al-Kitāb al-Majīd, Tūnis : al-Dār al-Tūnisīyah lil-Nashr. (in Arabic)

Ibn ʻuthymyn, Muḥammad ibn Ṣāliḥ, (1424h), al-Qawl al-mufīd ʻalá Kitāb al-tawḥīd, al-Mamlakah al-ʻArabīyah al-Saʻūdīyah : Dār Ibn al-Jawzī. (in Arabic)

Ibn ʻrafh, Muḥammad ibn Muḥammad, (2008M), tafsīr Ibn ʻArafah, th : Jalāl alssywṭy, Lubnān, Bayrūt : Dār al-Kutub al-ʻIlmīyah. (in Arabic)

al-ʻAskarī, al-Ḥasan ibn ʻAbd Allāh, Jamharat al-amthāl, Bayrūt : Dār al-Fikr. (in Arabic)

Ibn ʻṭyyah, ʻAbd al-Ḥaqq ibn Ghālib, (1422H), al-muḥarrir al-Wajīz fī tafsīr al-Kitāb al-ʻAzīz, th : ʻAbd al-Salām ʻAbd al-Shāfī Muḥammad, Lubnān, Bayrūt : Dār al-Kutub al-ʻIlmīyah. (in Arabic)

Ibn Fāris, Aḥmad ibn Fāris, (1392h-1972m), Maqāyīs al-lughah, th : ʻAbd alssalām Muḥammad Hārūn, Miṣr : shrkh Maktabat wa-

Maṭba‘at Muṣṭafá al-Bābī al-Ḥalabī wa-Awlāduh. (in Arabic)

al-Farāhīdī, al-Khalīl ibn Aḥmad, (1408h), al-‘Ayn, tḥ : alddktwr Mahdī almkhzwmī wālddktwr Ibrāhīm alssāmrrā’y, Bayrūt, Mu’assasat al-A‘lamī lil-Maṭbū‘āt. (in Arabic)

Alqinnawjy, Muḥammad Ṣiddīq Khān, (1412h-1992m), ftḥu al-Bayān fī Maqāṣid al-Qur’ān, ‘uniya bṭb‘hi wqddm la-hu wa-rāja‘ahu : Khādim al-‘Ilm ‘abd Allāh ibn Ibrāhīm al’nṣāry, Ṣaydā, Bayrūt : almaktbh al‘ṣryyah llṭbā‘h wālnnshr. (in Arabic)

al-Māwardī, ‘Alī ibn Muḥammad, alnnukt wa-al-‘uyūn, tḥ : al-Sayyid Ibn ‘Abd al-Maqṣūd ibn ‘Abd al-Raḥīm, Lubnān, Bayrūt : Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah. (in Arabic)

al-Marāghī, Aḥmad ibn Muṣṭafá, (1365h-1946m), tafsīr al-Marāghī, Miṣr : Sharikat Maktabat wa-Maṭba‘at Muṣṭafá al-Bābī al-Ḥalabī wa-Awlāduh. (in Arabic)

Ibn manẓūr, Muḥammad ibn Mukarram, (1414h), Lisān al-‘Arab, al-ḥawāshī llyāzjy wa-Jamā‘at min al-lughawīyīn, Bayrūt : Dār Ṣādir. (in Arabic)

Ibn Munqidh, Usāmah ibn Murshid, al-Badī‘ fī Naqd al-shi‘r, tḥ : al-Duktūr Aḥmad Aḥmad Badawī, wa-al-Duktūr Ḥāmid ‘Abd al-Majīd, al-Jumhūrīyah al-‘Arabīyah al-Muttaḥidah : Wizārat al-Thaqāfah wa-al-Irshād al-Qawmī. (in Arabic)

al-Nāshir, Muḥammad al-Hilāl, (1443h-2022m), tafsīr al-Qur’ān al-Shithrī (al-Jāmi‘ fī al-i‘jāz al-bayānī wa-al-lughawī wa-al-‘ilmī), Sūrīyah, Dimashq : Dār al-Mi‘rāj, wa-Dār Jawāmi‘ al-Kalim. (in Arabic)

Nukhbh min ‘ulamā’ Majma‘ al-Qur’ān al-Karīm bālshshārqh, (2026m), Mawsū‘at al-tafsīr al-balāghī fī al-Qur’ān al-Karīm, al-Imārāt, al-Shāriqah : Manshūrāt al-Qāsimī. (in Arabic)

Alnnsfy, ‘Abd Allāh ibn Aḥmad, (1419h-1998M), Madārik

al-tanzīl wa-ḥaqā'iq al-ta'wīl, ḥaqqaqahu wa-kharraja aḥādīthahu : Yūsuf 'Alī Budaywī, rāja'ahu wa-qaddama la-hu : Muḥyī al-Dīn Dīb Mastū, Lubnān, Bayrūt : Dār al-Kalim al-Ṭayyib. (in Arabic)

al-Hararī, Muḥammad al-Amīn ibn 'Abd Allāh al-Urmī, (1421h-2001m), tafsīr Ḥadā'iq al-rūḥ wa-al-rayḥān fī Rawābī 'ulūm al-Qur'ān, ishrāf wa-murāja'at : al-Duktūr Hāshim Muḥammad 'Alī ibn Ḥusayn Mahdī, Lubnān, Bayrūt : Dār Ṭawq al-najāh. (in Arabic)

al-Wāḥidī, 'Alī ibn Aḥmad, (1430h), al-tafsīr al-basīṭ, 'Imādat al-Baḥth al-'Ilmī-Jāmi'at al-Imām Muḥammad ibn Sa'ūd al-Islāmīyah. (in Arabic)